الروبوت الأخير

مجموعة قصصية

المجموعة القصصية : الروبوت الأخير

تأليف: محمد أحمد خليفة

الناشر: أدباء 2000

الطبعة الأولى 2019

أرقام الإيداع : 2019/8475

ISBN: 978-977-6721-00-5

تصميم الغلاف: محمد علي

حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة لدار أدباء 2000 للنشر والتوزيع-

2019

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه أو اختصاره بقصد الطباعة واختزان مادته العلمية أو نقله بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك دون موافقة خطية من الناشر مقدما

دار أدباء 2000 للنشر والتوزيع

نشر – توزيع

01020812429 – 01099654718

العنوان: ش المطبعة- فيصل - الجيزة

الروبوت الأخير

مجموعة قصصية

محمد أحمد خليفة

أدباء 2000 للنشر والتوزيع

الإهداء

هذه المجموعة القصصية مهداه لروح

الدكتور/ أحمد خالد توفيق

الذي رحل عنا بجسده لكن كتاباته ومواقفه ستبقى خالدة،
ويكفينا فخرًا به أنه جعل الشباب يقرأون

ثقب أسود

(1)

كم كان يعشق التكنولوجيا! لشد ما كانت تستهويه تلك الهواتف الذكية بشاشاتها الناعمة التي تعمل باللمس. كان يغوص في عالم الإنترنت الساحر فتنقضي ساعات يومه وكأنها دقائق قليلة!

عثر صدفة ذات ليلة على تطبيق أندرويد جديد في أحد المواقع الأجنبية المتخصصة في البرمجيات. كانت تلك هي المرة الأولى التي يتصفح فيها هذا الموقع الذي دله عليه إعلان احتلَّ شاشته بالكامل، وكان صورة لثقب أسود!

حاول عبثًا الخروج بأي طريقة من الإعلان، والعودة إلى صفحات الإنترنت التي كان يطالعها لكن الإعلان تحداه ببرود وثبات، فوجد نفسه يضغط على صورة الثقب الأسود بقوة وَلَّدَهَا الغيظ والحنق!

لكن غضبه تبدد، وحلت محله الدهشة التي اتسعت لها عيناه، وهو يعقد حاجبيه في اهتمام متزايد. كانت الكلمات القليلة المكتوبة بالإنجليزية أسفل صورة الثقب الأسود في تلك الصفحة مثيرة بالفعل.

كان يحدث نفسه، وسبابته تلمس شاشة جواله لأعلى لكي يصل إلى نهاية الصفحة حيث رابط التنزيل:

- ما أروعه من تطبيق، إن كان كما قرأت في وصفه، فهو يتيح لمن يثبته على هاتفه أن يرى الثقوب السوداء الغامضة المتناثرة في أعماق الفضاء السرمدي وكأنها أمامه! بل ما أشد حماقتك إن كنت تصدق هذا الهراء! إذ كيف تراها على شاشة هاتفك وكأنها أمامك، وهي التي لا يستطيع كائنًا مَنْ كان أن يجسر على مجرد التفكير في الإقتراب منها لجاذبيتها الرهيبة التي تمتص الضوء نفسه فتبتلعه في قرارها المظلم السحيق وهو على ما عليه من سرعة فائقة؟!

إلا أنه برغم سخريته تلك من نفسه تمتم بشفتيه وقد عثر بالفعل على رابط التنزيل، بل وضغط عليه بسبابته:

- فلنجرب يا صاح فلن نخسر شيئًا على أي حال!

فإن الأمر كله مجرد تجربة تطبيق جديد، وفي حال لم يعمل فإن من السهل إزالة تثبيته ونسيان الأمر برمته!

إنتهى التنزيل، فضغط بلهفة على حزمة التثبيت، غير أن إعدادات الحماية في الهاتف أظهرت له رسالة مفادها أنَّ هذا التطبيق غريب، كونه قد تم تنزيله من خارج متجر جوجل بلاي المعتمد في التطبيقات. فما كان منه إلا أن تنقَّل بسبابته في لمسات سريعة على شاشة هاتفه مغيرًا في إعدادات الحماية كي تتيح له تثبيت التطبيقات الأخرى من خارج المتجر وكأنها موثوقة من المتجر ذاته.

أظهر تطبيق مقاوم الفيروسات إشعارًا تحذيريًا أعلى الشاشة لوجود تغيير حدث في إعدادات الحماية غير أنه تجاهله لعلمه بسببه.

انتقل بسرعة إلى مجلد التنزيلات في ذاكرة الهاتف الداخلية، فوجد تطبيق الثقب الأسود أول القائمة، وحالما ضغط عليه وظهر له خيار الثبيت ابتسم! ضغطه بلهفه وتابع خطوات الثبيت حتى ظهر له خيار فتح التطبيق.

قبل أن يضغط عليه تحولت شاشته بأكملها لصورة السماء الرائعة التي كانت مزدانة بالنجوم وهي ترصع سوادها كالألماس اللامع الفائق البريق!

شهق في انبهار وهو يحدق في السماء الساكنة التي أنارت نجومها شاشة هاتفه وكأنها حقيقة لا ريب فيها ولا جدال!

غير أنها بعدما كانت ثابتة تسارعت للأمام متعمقة به داخلها وكأنه في سفينة فضائية يسبر أغوار الكون من الشاشات الراصدة، وتعاظمت السرعة بشدة فصار يرى نقاط الضوء التي هي علامات النجوم وكأنها خطوط متصلة من الضوء المبهر تحيط بشاشته من كل جانب، وأطيافها تتدرج في إيقاع مروع غريب!

وإذا بنقطة سوداء صغيرة في المنتصف كانت نائية بعيدة فرآها تقترب وتكبر حتى توسطت شاشته حين توقف المشهد فجأة!

طالع في تعجب تلك الدائرة الكالحة المدلهمة العميقة الغور وهو لا يرى شيئًا فيها!

لا!!! بل هو يرى في منتصفها وجهًا صغيرًا ويدًا يمتد كفها نحوه! إقترب بعينيه متمعنًا في الدائرة السوداء فهاله أن يكون الوجه وجهه، وكأنه يرى نفسه في انعكاس المرآة، وتلك اليد التي تشير إليه أصابع كفها أن تعال!

وجد نفسه فجأة داخل الثقب الأسود الذي امتصه من عالمه المادي في لمح البصر وانغلق عليه للأبد، وصرخات فزعه لا تتجاوز شفتيه وهو يرى شاشة هاتفه وقد عادت إلى وضعها المألوف!

إذا كان بمقدورنا أن نقترب من صورة الخلفية التي كان قد اختارها لشاشته، فنراه فيها مع أصدقائه يضحكون للكاميرا، وأحدهم يلتقط لهم تلك الصورة في إحدى رحلاتهم الجامعية، فهل سيلاحظ أحدنا تلك النقطة السوداء الصغيرة تمامًا فوق رأس صديقه الذي يقف بجانبه!

هل؟!!!

الخادم

(2)

كان يعمل في تجارة الكتب القديمة والمستعملة. إن شراء المكتبات القديمة التي تقع في أيدي الورثة الذين لا يعيرون القراءة أدنى أهمية كان مصدر ربحه الأكبر. كان في مرات عدة يجد من المجلدات والمخطوطات القديمة النادرة ما قد يعود عليه بالربح الوفير.

كل هذا كان في مقابل ثمن بخس! إن بيع مكتبة بحساب وزن كتبها بالكيلوجرام أو مقابل مبلغ إجمالي تم حسابه بالتقريب لهو السخف بعينه إلا أنه يحدث! لكن مَنْ يضمن الربح في كل الأوقات؟! إنَّ الحياة جد متقلبة.

حدث منذ أسبوع أن اشترى مكتبة كاملة من ورثة أحد الأغنياء، ونقلها لمخزنه الذي يحتل غرفة كبيرة في شقته.

كنتَ تراه يجلس هناك لساعة أو ساعتين كل يوم بعد انتهاء عمله، ليصنف الكتب القديمة بحسب ندرتها وأهميتها ثم بحسب نوعها.

في تلك الليلة جلس يكمل فرز وتصنيف كتب تلك المكتبة، حين وجد كيسًا من القماش القديم. كان بداخله مجلد عتيق محفور في غلافه الجلدي اسمه الشهير"شمس المعارف الكبرى".

بحكم خبرته كان يعرف الكتاب بالطبع، لكنها كانت المرة الأولى التي يقع فيها بين يديه بنسخته المخطوطة الأصلية.

إنَّ الكثير من الكتب التي وقعت بين يديه وادعى أصحابها أنها مصنفات في السحر كانت مجرد لعبة من الكلمات السخيفة المزيفة.

لقد سمع الكثير عن هذا الكتاب العجيب، بَيْدَ أنَّ ما استوقفه حقًا هو مزيج الحبر الذي خُطَّت به أوراقه. كان فيما اشْتُهِرَ عن الكتاب أن مُؤلِّفَه "البوني" قد خلط دمه بحبر الكتابة، ثم قرأ عليه إحدى العزائم القوية قبل أن يَخُطَّه، وبهذا صار للكتاب خادم يرافقه من مردة الجان! كان هذا الخادم يجبر مالك الكتاب على الحفاظ عليه، والعمل على نشر تعاويذه، فإذا ما أهمل الإنسي ذلك كان الخادم يقتله، ومن ثم ينتقل مع الكتاب لشخص غيره.

قلَّبَ في أوراق الكتاب المصفرة، والتي كانت تحوي تعاويذًا بطريقة الآيات القرآنية المفككة والمبتورة، وأخرى باستخدام سحر الأرقام "الكابالا" في شكل رسوم غريبة لبشر وحيوانات، وشبح ابتسامه

ساخرة يلوح في وجهه. هل كان مجنونًا حتى يجرب قراءة عدة تعاويذ ليؤكد لنفسه كذب هذا الكتاب؟! مَنْ يدري؟

ترك الكتاب مكانه، وأغلق المخزن خلفه، وتوجَّه نحو غرفة نومه، فتمدد على فراشه، وإذا بالكتاب بين يديه!

هاله ما يرى، فهو يذكر جيدًا أنه ترك الكتاب في المخزن وأغلق عليه الباب، فكيف به بين يديه؟!!

ثم فجأة كان ذلك الصوت المخيف! صوت خطوات في الصالة! خطوات ثقيلة بطيئة تقترب من غرفة نومه.

اتسعت عيناه رعبًا، وضربات قلبه تزداد قوة وهو ينتفض بشدة.

أغمض عينيه وهو يغطي وجهه بوسادته، لكنه برغم ذلك شعر بحرارة رهيبة تكاد تشعل الهواء من حوله في الغرفة التي اصطبغت باللون الأحمر القاني، وذلك الصوت المخيف القادم من أعماق الجحيم يزمجر في حشرجة مفزعة:

- أنا الخادم!

666

(3)

كانت "رنا" تجلس مع صديقاتها وقت الظهيرة في كافيتريا الجامعة، تشاركهن الضحك والمزاح، لتمضية وقت الفراغ حتى موعد المحاضرة التالية.

تشعب حديثهن في شتى الموضوعات، فتحدثن في الفن وأخبار أهله، وفي الأزياء وآخر صيحات الموضة، وفي مشاكلهن الأسرية سواء مع آبائهن أو إخوتهن من الذكور

داخل منازلهن، وفي غير ذلك مما يطرأ على حديثهن بدون سابق ترتيب أو قصد.

واستمر النقاش بينهن في شد وجذب، يتأرجح ما بين الرفض والقبول، حين قطعت إحداهن الحديث فجأة قائلة:

- فلتنصتن إليَّ جيدًا! سوف لن تصدقن ما قرأته بالأمس مصادفة في أحد مواقع الإنترنت!

أرهفن السمع لها و"رنا" تسألها باهتمام:

- عن أي شيء كنتِ تقرأين؟!

كان رد صديقتهن بكلمة واحدة:

- الشيطان!!!

بسملن وتعوذن جميعهن، إلا صديقتهن التي راحت تحدثهن عما قرأت وقد أثارت بكلامها اهتمامهن للدرجة القصوى.

كان من بين ما فاهت به ولفت انتباهن أنَّ هناك رقمًا مميزًا للشيطان! أخْرَجَتْ من حقيبتها مفكرة صغيرة، كانت قد دونت فيها بعض المعلومات التي وجدت نفسها لسبب ما لا تدري كنهه تود الاحتفاظ بها، وفتحتها لتقرأ لهن منها:

- ورد في الأصحاح الثالث عشر من رؤيا يوحنا اللاهوتي من العهد الجديد بالكتاب المقدس ما يلي نصه:

16 وَيَجْعَلَ الْجَمِيعَ: الصِّغَارَ وَالْكِبَارَ، وَالأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ، وَالأَحْرَارَ وَالْعَبِيدَ، تُصْنَعُ لَهُمْ سِمَةٌ عَلَى يَدِهِمِ الْيُمْنَى أَوْ عَلَى جِبْهَتِهِمْ، 17 وَأَنْ لاَ يَقْدِرَ أَحَدٌ أَنْ يَشْتَرِيَ أَوْ يَبِيعَ إِلَّا مَنْ لَهُ السِّمَةُ أَوِ اسْمُ الْوَحْشِ أَوْ عَدَدُ اسْمِهِ. 18 هُنَا الْحِكْمَةُ! مَنْ لَهُ فَهْمٌ فَلْيَحْسِبْ عَدَدَ الْوَحْشِ فَإِنَّهُ عَدَدُ إِنْسَانٍ، وَعَدَدُهُ: سِتُّ مِئَةٍ وَسِتَّةٌ وَسِتُّونَ.

(رؤيا يوحنا اللاهوتي - اَلأَصْحَاحُ الثَّالِثُ عَشَرَ)

أنصتن إليها مشدوهين في ذهول، وكأنَّ على رؤوسهن الطير، في حين تابعت هي القراءة من مفكرتها قائلة:

- هناك آراء تقول أنَّ هذا الرقم 666 هو رقم الشيطان أو المسيح الدجال، لأن ما ورد نصه فى سفر أشعياء يقول بأنَّ المسيح الدجال

سيذهب إلى الهيكل في القدس ويعلن أنه الرب، وذلك في الآية رقم 66 6:، وهكذا أصبح رقم الآية مرتبطًا بالمسيح الدجال أو الشيطان!

وأنهت قراءتها من مفكرتها بسؤالهن:

- ترى ما هو رأيكن فيما سمعتن للتو من معلومات غريبة عن الشيطان؟!

همنن جميعهن بالرد عليها، إلا أنَّ إحداهن نظرت في ساعة يدها، فإذا بموعد المحاضرة التي كن بانتظارها قد حان.

توجهن إلى القاعة لاستكمال دراستهن وتغير بالطبع مجرى الحديث كما هي العادة.

عقب انتهاء المحاضرة الأخيرة عدن جميعهن لمنازلهن، وقد نسين ما قرأته لهن صديقتهن!

كلهن نسين ما سمعته آذانهن سوى "رنا" التي وصلت منزلها فاعتذرت عن تناول وجبة الغداء مع أسرتها قائلة لوالدتها:

- لقد تناولتُ مع صديقاتي وجبة خفيفة في كافيتريا الجامعة،

ولا أشعر بالجوع الآن يا أمي العزيزة!

دخلت غرفتها، فاستبدلت ملابسها، وتمددت بمنامتها على فراشها،

وفضاء غرفتها كعقلها يمتلئ بالرقم 666!

كان الرقم يحاصرها في جنون، وكان هناك تساؤل عجيب لا تدري كيف طرأ على تفكيرها يُلِحُّ عليها بإصرار:

- ماذا إن كان الرقم 666 هو رقم الإتصال بالشيطان؟!

لم تدرِ متى ولا كيف امتدت يدها لتلتقط هاتفها النقال، وتكتب الرقم 666 على شاشته ثم تتصل به!

بطبيعة الحال لم يكتمل الإتصال فالرقم خاطيء!

سخرت من سذاجتها وحمقها، ووضعت جوَّالها على الكومود المجاور لسريرها، وتأهبت للنوم وشبح ابتسامة يرتسم على شفتيها!

كان هذا حين رنَّ هاتفها بنغمته المميزة، فامتدت يدها إليه لتتناوله مستاءة أن جاءها اتصال وهي على وشك النوم، وفور أن رأت الرقم المتصل الذي ارتسم على الشاشة، اتسعت عيناها في رعب مجنون وشُلَّ جسدها بأكمله من الفزع...

كان الرقم المتصل هو 666!

ما حدث لها بعد ذلك كان غريبًا ومرعبًا للغاية!

لقد وَجَدَتْ سبابتها تمتد فجأة إلى شاشة هاتفها، على غير إرادة منها، بفعل قوة رهيبة لا قِبَل لها بها، تجبرها على ضغط زر الرد على الإتصال!

جاهدت باستماته كي لا تضغط زر الرد، لكنها ضغطته وبكل قوة!

دخلت أمها غرفتها لتطمئن عليها بعد مرور ساعتين تقريبًا، لكنها لم

تعثر لها على أدنى أثر!

لم تَرَ المسكينة على سرير ابنتها سوى هاتفها النقال الذي كان قد

تفحمَّ تمامًا!

هـــذيـــان!

(4)

تسرب الوعي مني تدريجيًا، وكأنه حشود من النمل قد أتت على فريستها، ثم إذ تركتها عظامًا نخرة، استقامت في صفوفها المزدحمة منتظمة السير، تتهادى في طريقها إلى مستعمرتها النائية!

كنت أشبه ما يكون بغواص يجوب الأعماق البعيدة الغور لأحد المحيطات الشاسعة! إني لأرى جسدي يسبح نحو كهف عميق ضخم شديد الإظلام، وأنا منهك القوى موجوع الجسد، يعتريني دوار عنيف يزلزل كياني، وصداع قاتل يفتك بأم رأسي، حتى أنها تكاد لهوله تنشق إلى نصفين، وأشعر بعينيَّ وكأنهما ستقفزان من محجريهما من شدة ضغطه عليهما. كان صداعي يقهرني بأسرٍ لا فكاك منه، ويضرب رأسي كأنه طبال يقرع طبلًا ضخمًا أجوفًا بعصاه الثقيلة، فيرتج دماغي، وتهتز المرئيات أمام رؤيتي المشوشة فلا أكاد أستبين ما حولي إلا لمامًا. إني لأراني لفرط المشقة والألم أتداعى كبيتٍ آلَ للسقوط منذ قرون وقرون!

كنت في غوصي، بعيدًا في الأعماق المخيفة الظلمة، تجتاحني دوامات من الماء تليها دوامات، وجسدي مستكين لها تقلبه ذات اليمين وذات

الشمال، وأنا أرى لعجبي، رغم الظلام المحدق بي من كل حدب وصوب، مدخل الكهف العميق وهو يدنو مني رويدًا رويدًا، وكأنه هو الذي يتحرك نحوي أو يجذبني نحوه! هالني مرأى فتحة الكهف وحشية المنظر وهي تبدو نهمة تكاد أن تقفز من مكانها لتبتلعني في جوفها المرعب الرهيب!

استبد بي الفزع، وكأن شياطين الجحيم تتقافز من حولي وتسعى لالتهامي! لقد استدعى مرأى فتحة الكهف الهائلة كل مخاوف طفولتي المفزعة! إنها في اتساعها وشدة ظلمتها تبدو كفم الغولة التي كانت جدتي وأنا طفل صغير تحكي لي عنها، فيقشعر لذكرها بدني وارتجف من الخوف، وكنت حينما أخلد إلى النوم أراها في كوابيسي، وهي تفتح فمها فتكشف عن أسنانها الصفراء الحادة التي تطاردني وتسعى لافتراسي! كان خوفي عظيمًا كلما اقتربتُ في غوصي من فم الكهف، فقد كنتُ أراه يشبه إلى حدٍ كبير فم الكلب الذي طاردني ذات يوم وأنا عائد من المدرسة، وقد أصابه السعار والهياج، فأدركني وقد سقطت على الأرض، وغرز أنيابه في فخذي، ولولا عناية الله بي وتدخل المارة لإنقاذي لكانت نهايتي. يومها تحملتُ آلام الجرح ووجع الحقن، لكنني لم أستطع حتى وقتنا هذا أن أتغلب على خوفي من الكلاب.

تقترب فتحة الكهف مني أكثر فأكثر، ويزداد وقع الطبل المؤلم ليرج دماغي بصخبه العنيف المدوي، وترتفع درجة حرارة جسمي بشدة، وأنا

أغوص باستسلام لا عهد لي به نحو فم الكهف المتربص بي، فيبتلعني بجوفه المنذر بالويل في غمضة عين ويغلق عليَّ فمه!

وإذا بجسدي الحبيس متراخي الأطراف، وهو ينجرف بقوة رهيبة إلى جوف الكهف، فيتردى فيه أعمق فأعمق، وأنا لا أملك من أمر نفسي شيئًا، فليس بي أدنى حيلة أو قوة!

كان الماء يغلي من حولي كلما ارتفعت درجة حرارة جسدي، وصرتُ أرى لعجبي صخور الكهف وهي تذوب بفعل حرارتي الشديدة التي انتقلت للماء، وكأني أتون مشتعل باللهب يقذف بالحمم في كل مكان!

زأرَ الكهف بصوتٍ هادرٍ عميق، وكأنه يتألم لانصهار جوفه الصخري. غلى الماء حولي، وصار يموج في دوامات عنيفة، وفقاقيع الهواء فيه تتعاظم وتكبر، فتعلو بها موجات من المد الحارق تلو موجات، لتتراكم فتحتبس خلف فم الكهف المخيف، وتضغط عليه بعنف في فورتها المهولة وثورانها العربيد!

مع انصهار باطن الكهف الصخري، وتعاظم ضغط المياة الملتهبة خلف فمه المغلق، هاج الكهف وماج، وانفتح فمه المفزع عنوة، فلفظني خارجه مقذوفًا بقوة نحو السطح، ومياه المحيط الباردة تحيط بي من كل صوب، وتبرد جسدي فتخفض درجة حرارته، وأنا أشهق طلبًا للأكسجين، وقد كنتُ قاب قوسين أو أدنى من الموت اختناقًا وغرقًا!

كان صعودي للسطح أسطوريًا، وكانت شهقتي القوية تلك، هي التي انتشلتني من لجة الهذيان المحموم التي أغرقتني في دواماتها، فإذا بالوعي المسلوب مني يعيدني لعالمي، لأجدني وقد كادت الحمى أن تفترسني، وأنا متهالك الجسد على فراشي، أرقد كيفما اتفق، ولا أقوى حتى على تحريك إصبع السبابة، وإذا بي أرى وجه أمي الحبيبة، يرنو إليَّ في شفقة وعطف، وهي تبلل قطعة صغيرة من القماش بالماء البارد من أحد الأطباق، ثم تضعها على جبيني الملتهب كبركان فيزوف، وتكرر ذلك مره تلو الأخرى، مبسملة تدعو الله أن يُذْهِبَ عني البأس ويخفف المرض، فاستكينُ بطمأنينة لصوتها الحنون، وتغفو عيناي في وهن وضعف.

فريسة

(5)

(لا تأكل طعاماً لا تعرف أهله!)

- اللعنة!

صاح بها وهو يفتح باب سيارته لينزل منها. تلفت حوله في ذلك الطريق الترابي المقفر فلم يجد أي أثر للبشر. كانت الشمس في طريقها للغروب، وقد اصطبغ الكون حوله باللون الرمادي الكئيب.

تعطلت سيارته في هذا الوقت، وفي تلك البقعة النائية التي يجهلها تمامًا! ظننتُ هذا واضحًا! أما إلى أين كان يذهب، فلكم أن تسألوه عن ذلك، فلستُ في مزاج رائق يسمح لي بأن أجيب عن كل أسئلتكم!

كان لابد بالطبع من منزل ريفي بعيد، حتى يكتمل المشهد!

رأى بالفعل مع هجوم جحافل الليل نورًا في إحدى نوافذ المنزل، فتوجَّه إليه من فوره.

وصل المنزل، فوجد بابه مواربًا. طَرَقَ عليه مرات عدة فلم يُجِبْه أحد.

دفع الباب الخشبي، فأصدر صريرًا من مفصلاته الصدئة، وحين دلف إلى صالته رأى مائدة الطعام حافلة بأطباق وجبة العشاء الشهية التي يتصاعد منها البخار، وكأنها طُبِخَتْ لتوها.

نادى فلم يرد عليه أحد! تعجَّبَ لكنه كان جائعًا بالفعل، والطعام الشهي أمامه يدعوه للجلوس بإلحاح غريب.

جلس ومد يده يتناول الطعام، وهو يشعر بالدهشة والحيرة.

= ترى أين ذهب أصحاب المنزل؟! كيف لا أراهم، وطعامهم أمامي قد تم طهيه للتو؟!

بهذا كان يحدث نفسه، وقد أزمع أن يبيت في هذا البيت حتى الصباح، علَّه في ضوء النهار يجد طريقة ما أو مساعدة من أحد لإصلاح سيارته واستكمال سفره.

هل هناك عبارة ما هنا مرَّ عليها صاحبنا فلم يعيرها إهتمامًا؟! أنتَ ذكي بالطبع، وتعرف ماذا أقصد!!!

بدأ يشعر بالدوار، حين سمع صوت حركة ما يحيط به من حوله، فرفع رأسه ينظر، وإذا بأربعة رجال، وجوههم بشعة وأجسادهم ضخمة وأنيابهم تبرز حادة من أفواههم، وهم يتحلقون حوله ويطبقون عليه من كل جانب.

كان المخدر القوي قد تغلغل في خلايا مخه بالفعل، وجعل جفنيه يزنان أطنانًا، وهو يحاول فتحهما دون جدوى. سقط فاقدًا للوعي الذي لن يستعيده مرة أخرى أبدًا!

الـوهم

(6)

لا أجدُ لنفسي من الأوصاف ما أسوّد به وريقاتي القليلة تلك لكم!

- تُراهم سيلقون بالًا لهذا؟! أنتَ قطعًا واهم!

بهذا حدثتُ نفسي، وأنا أجلس إلى مكتبي وحيدًا، يخيم على وجودي صمت الليل الثقيل الكئيب. وبرغم برودة الجو التي هي من طقوس شهر يناير، إلا أنني بدأت أشعر بها وقد تسللت في خفية كدبيب النمل الرتيب، خشية ألا أدرك بوجودها، حتى تجد فرصتها السانحة لتتمكن مني، فسكنت عظامي وظلت تنخر فيها مما سبب لي آلامًا لا تطاق في كل أجزاء جسدي المتهالك فوق هذا المقعد العتيق الذي أجلس عليه في ضعف واستكانة. نعم، إنها الحمى تموج كالحمم في أعماقي المظلمة فترفع حرارتي، وتشل تفكيري فتهتز المرئيات من أمامي وكأني أراها من خلال حاجز من سحب بخار الماء الساخن غير واضحة المعالم.

رباه! إن مخي يكاد تحت شدة وطأتها ينفجر! إنها تجتث روحي من جذورها! جسدي يحترق احترازًا لفرط لهيب الحمى، وسيول من العرق الغزير تغرقني كطوفان نوح! إني لأكاد

أن ألفظ روحي، وكأن أتونًا مشتعلًا بجوفي يقذف بحممه الملتهبة من فمي!

ما بال تلك الليالي الماضية تأبى أن تفارق مخيلتي المتصدعة إلى غير رجعة؟! لقد جاهدتُ كثيرًا في أن أنساها، لكني أجدها تتراءى أمامي في كل شئ وفي أي مكان يقع عليه بصري المشوش الرؤية! وكلما فتحت كتبي أو حتى طالعت الجدران من حولي...

يا إلهي! ما للجدران تتراقص أمامي في جنون؟! إنها تميد وتهتز وكأن بها مس من شياطين الجحيم! رحماك ربي ما عدت أحتمل المزيد!

إني أراها من مكاني قابعًا خلف مكتبي القديم! أرى الجدران تنشق عن ذكريات الماضي الأليم التي مازالت تطاردني بلا رحمة أو شفقة! إنها تبغي جنوني أو موتي! أشعر بيدي تتحرك لا إراديًا رغمًا عني، وتعمد إلى مسدسي الصغير الذي لازم درج مكتبي الوحيد لعامين كاملين لم أجرؤ فيهما على إخراجه أو

النظر إليه طرفة عين قط! يدي تتشبث به في استماتة، فتتسلل إليها برودة المعدن الساخر الوقح و...

إني لأذكر ذلك اليوم جيدًا الآن، وكأني به كان بالأمس القريب! لقد كنت أشعر وقتها بما سيحدث! سَمِّهِ حدسًا أو استبصارًا أو رؤية، فكل تلك المسميات لا تهم الآن! إن ما يهمني بصدق هو...

= لعنة الله عليكِ! إذهبي وإلا حطمت ما تبقى منكِ! يارب السماوات النجدة! إرحمني مما أقاسيه! أما لهذا العذاب من نهاية؟!

(صوت لهاثي يطغى على كلماتي، وتتسارع دقات قلبي بجنون، حتى أنه يكاد أن يخترق أضلع صدري من شدة الفزع !)...

إن ذاكرتي تحاصرني بمخزونها المؤلم البغيض... أشعر بها تقيدني فلا أجد فكاكًا من براثنها القاتلة... يالها من مهزلة مأساوية الوقع مريرة المذاق، حينما تجد نفسك في مواجهة نفسك، وأنت لا حول ولا قوة بك! يالغرور الإنسان الذي يصول به الآفاق ويجول متبجحًا مستأسدًا، حين يستحيل خزيًا مهلكًا في مواجهة ضعفه!

لقد صارت محاولات الفرار أو المقاومة أطيافًا من خيال تحطمت سطوتها الكاذبة على صخرة الواقع القاسي المفزع الذي جسدته لي ذكريات حياتي الماضية كيانًا من لحم ودم وعالمًا أحياه رغمًا عني مره أخرى، ولكن ليفرض فيه عليَّ كلمته بعد أن كنت أنا صاحب القرار الأخير.

لقد صرتَ تراني الآن وأنا لا أدرك شيئًا مما حولي على وجه اليقين... أصبحتُ رجلًا مسلوب الإرادة ذاهل الجنان... صرتُ أراها عينَ اليقين، أو هكذا بدت لي، والحوائط المهتزة من حولي تنشق عنها في جو مقبض كئيب منذر بالويل والخطر... أراها لرعبي وهي تقترب مني في خطوات وئيدة ثقيلة، وقبضتها القاسية تمتد أمامها تسبقها تبغي رقبتي لتخنق فيَّ الحياة... أين إرادتي المسلوبة رغمًا عني؟! هل أضحت أثرًا بعد عين؟!

طارَ صوابي شعاعًا. صرتُ في مواتي واستكانتي الحمقاء كالغر الساذج، أحاول التشبث ولو بذرة من قواي الخائرة رغبة في الحياة... لن أدعها تزهق روحي وتقضي على ما تبقى فيَّ من بعض أمل في البقاء وأنا جالس في مكاني كالعاجز المُقْعَد الذليل... لن أتركها تعصف بي في ثورتها العاصفة المدمرة لوجودي الآيل للسقوط... سأقتلها! نعم، سأقتلها وإلى الأبد!

إن ما تتشبث به يدي هو وسيلتي الوحيدة الآن للخلاص من عذاباتي المهلكة... أرفعه بيدٍ مهتزة مرتعشة بفعل الحمى الضارية، وأنا أواجه خصمي بشجاعتي المعهودة منقطعة النظير!

- لقد عَذبْتِني بما يكفي، وحان وقتُ رحيلِك إلى أبد الآبدين!

أراها تسخر مني بابتسامتها الوقحة! ورغم أن مسدسي مصوب نحوها الآن، إلا أنها تابعت سيرها نحوي تبغي القضاء عليَّ!

- لا... لا... لاااا! لن تسلبي مني حياتي، فهي ملكي وحدي!

أمسك بمسدسي بقوة، وأنا أصوبه نحوها في عزم وإصرار، وأضغط على الزناد!

يدوي إنفجار ضخم، يطيح بالمشهد كله كاملًا من أمامي وكأنه لم يكن!

يصطبغ كل شئ أراه من حولي باللون الأحمر... الأسود...

إرتطم جسم ما بالأرض، وساد الصمت الرهيب المكان!

لـعـنـة الـشك

(7)

تبدأ قصتنا باثنين من الرجال يمشيان في حارة شعبية، بيوتها قديمة وأرضها قذرة. الأول رجل طويل، نحيف وأصلع الرأس تقريبًا، يرتدي جلبابًا، ويضع فوق عينيه نظارة طبية "كعب كوبايه" كما يقولون، وعمره في أواخر الأربعينات، يلهث وهو يمشي ويحدث رفيقه، والسيجارة في فمه يدخنها بشراهة. الثاني - وهو بطل القصة - شاب في أوائل الثلاثينات من العمر، أقصر قليلًا من الرجل الأول، وجسمه ممتلئ بغير سِمنة، ويلبس بذلة "سفاري" رمادية اللون، ويتدلى حزام حقيبة سفر "بوكس" من كتفه، وقطرات من العرق على جبينه، وصوته عريض منخفض وأكثر هدوءًا من صوت الأول الرفيع المرتفع لدرجة أنك تشعر حين يتكلم وكأن الشارع كله يسمعه وهو يقول:

- وحياتك يا رأفت يابني، ربنا يعلم أد إيه أنا قلبي اتفتح لك عشان ظروفك الصعبة دي، وعشان ربنا بيحبك وقعك فيا، وأنا عندي طلبك، ومش هنختلف خالص واعتبرنا واحد والعملية في بيتها.

- ربنا يبارك فيك يا عم إبراهيم. ده العشم برضو، وولاد الحلال هما اللي دلوني عليك. أنا على باب الله، ولسه بقول يا هادي. الواحد بس يلاقي أوضه تلمه، ويمسك في شغلانه بايديه وسنانه، عشان يقدر يحوش له قرشين، وبعدين يبقى يدور على بنت الحلال ويستقر زي ما كل خلق الله بتعمل. الواحد تعب من حياة العزوبية، وآديك شايف الشباب غلابه وحالهم يصعب ع الكافر.

- يا عم قلتلك متقلقش خالص. وكمان دول أوضتين مش أوضة واحدة. أينعم هما أرضي تحت السلم بس إيجارهم هيريحك وإنت بقى لو عايز تحوش يبقى عليك تظبط مصاريف أكلك وشربك وربنا يسهل لك الحال. آدينا وصلنا يابني.

ونراهما يدخلان بيتًا قديمًا من طابقين أو ثلاثة، وعم إبراهيم يتقدم رأفت الذي يجيل بصره حوله في الجدران التي تآكل دهانها بفعل الرطوبة والغبار، وهما يمشيان ناحية السلم، ويعبران في ممر ضيق بينه وبين الحائط، ليرى رأفت أمامه باب سكن قديم لونه بني والغبار عليه، ويسمع عم إبراهيم يقول وهو يُخرج المفتاح من جيب جلبابه:

- شحاته اللي كان هنا قبلك ومشي من أسبوعين كان مرتاح خالص هوه ومراته وكان طيب زي حالاتك، بس جاني قبل ما يمشي وقاللي إنه روح مراته البلد عند أهلها، وهيسافر يلقط رزقه

في بلد تاني. من ساعتها الأوضتين مقفولين، وحظك حلو إنهم طلعوا من نصيبك، زي ما يكونو مستنيينك تأجرهم!

فتح فمه فيما يشبه الإبتسامة، فظهرت أسنانه الصفراء في الضوء الشاحب، وهو يلقي نظره على رأفت ويفتح الباب بالمفتاح، ونسمع صوت "التكه" التي نعرف منها أن الباب فُتِحَ، وعم إبراهيم يدفعه، ونسمع صوت "تزييق" مفصلات الباب الصدئة، وبالطبع لا نرى وراءه غير الظلام. وكأن هبة هواء بغبار تلفح وجهيهما وهما بعد يجتازان الباب، فيكح رأفت ويغطي عينيه بكفه، وعم إبراهيم يمد يده ناحية الحائط في مكان يعرفه جيدًا، ويضغط على مفتاح المصباح الكهربي، فيضيئ الصالة وهو يقول:

= معلش يا ابني، الغبار شويه هنا عشان محدش دخل من يوم ما شحاته مشي هو ومراته. بس بكره أبعتلك أم حسن تنضف لك الشقة.

- لا يا عم إبراهيم متتعبش نفسك. أنا هنضفها. دول شوية غبار خفيف، واحنا متعودين ع الشقا.

وضع رأفت حقيبته على الأرض وهو يتفقد المكان، وكان يشم رائحة تشبه العطن أو الرطوبة في الجو، فقال في نفسه أنها بالتأكيد ترجع إلى غلق المكان لفترة. كان مسكنه عبارة عن صالة

صغيرة، ليس بها سوى حصيرة تغطي أرضيتها، وفي نهاية الصالة باب لحمام بلدي صغير، وفي الصالة نفسها حوض مياة، بجواره لوح رخام قديم به شروخ، وعليه طبق ووعاء غطاهما الغبار، ومثبتة للحائط "مطبقية" فارغة عليها بعض خيوط العنكبوت، وتحت الحوض أنبوبة غاز موصلة بموقد أرضي بشعلتين. كان هناك من الصالة باب غرفة بالحجم العادي وباب آخر أصغر منه. مشى رأفت ناحية الأول وفتحه، وعم إبراهيم يحدثه:

- إيه رأيك بقى يا رأفت يابني في المكان؟

- كويس يا عم إبراهيم. آهو نتلم فيه ونجري على لقمة عيشنا. أومال الواحد سايب بلده وناسه عشان إيه غير لقمة العيش؟ إنت سيد العارفين إن الأرياف مفيهاش شغل يأكل عيش، وربنا بيقول إسعى يا عبد وانا أسعى معاك.

أنار الغرفة، فرأى سريرًا قديمًا عليه مرتبة مفرشها مغبر، ونافذة صغيرة في الحائط الذي يواجهه تطل على المنطقة التي تقع خلف البيت، وعَلاَّقة ملابس مثبتة في الجدار، وثلاجة صغيرة قديمة في ركن الغرفة مقطوع عنها التيار الكهربي.

- أيوه يا رأفت يابني، بس إنت شد حيلك، وربنا يفرجها عليك وعلينا. إنت تريح دلوقتي والصباح رباح، تطلع من بدري على

المصنع بتاع الملابس اللي إنت قلتلي عايز تشتغل فيه، واللي فيه الخير يقدمه ربنا. محتاج أكل ولا حاجه من بره أجيبهالك معايا؟

- كتر خيرك يا عم إبراهيم. أنا جاي م السفر تعبان وعايز أريح شويه، وأبقى أطلع آخر النهار آكل لقمة في أي مطعم قريب.

- طيب سَجِّل رقمي عندك، عشان لو احتجت حاجه تكلمني على طول.

أخرج رأفت من جيبه موبايله ال "نوكيا" 1100 القديم، وسجَّل رقم عم إبراهيم الذي أملاه عليه، ثم أعاده لجيبه مرة أخرى.

- أستأذِن أنا يابني. تصبح على خير.

- وانت من أهل الخير يا عم إبراهيم.

ورافقه رأفت إلى باب المسكن حتى تجاوزه، وكاد أن يغلق الباب وراءه حين تذكر أن يسأله:

- إلا صحيح يا عم إبراهيم؟!

- نعم يا رأفت يا بني؟!

- هي الأوضة التانية الصغيرة دي اللي جنب أوضة النوم بتاعت إيه؟

- أيوه يا بني، معلش نسيت أقولك. دي زي أوضة خزين كده. هي مش أوضة أوي. تقدر تقول طرقة صغيرة. عمومًا هي فاضية، والناس اللي سكنت هنا قبلك سألوني عنها زيك، بس يمكن نادر ما حد استخدمها أو حس إنه محتاجها. بس آهي موجودة، وانت إستخدمها براحتك يا بني. مع السلامة.

- مع السلامة يا عم إبراهيم.

مشى عم إبراهيم، وأغلق رأفت الباب بالمفتاح، وأخرجه من فتحته في القفل، ليضعه في جيب البنطلون، ومن ثمَّ توجَّه ناحية الحمَّام. كان مفتاح الإضاءة بالخارج، وحالما ضغطه أنار المصباح بضوئه الأصفر. كان بالطبع ما رآه هو حمام بلدي قديم، أرضيته بلاط حال لونه وبهت، وكان جافًا وعلى حوضه ومكان جلوسه الغبار. أفرغ رأفت مثانته الممتلئة، وغسل يديه في الحوض، وخرج من الحمام، فأخذ حقيبته من الصالة ودخل غرفة النوم، فوضع حقيبته بجوار الثلاجة، وفتح نافذة الغرفة التي تطل على ما خلف البيت، لكي تنير الغرفة وتجدد هوائها، وعمد لحقيبته ففتحها ليخرج منها زجاجة مياه بلاستيكية، كان قد اشتراها في الطريق، وتبقى بقاعها القليل من المياه فشربهم، وتوجَّه إلى الحوض في الصالة - الذي يعتبر هو والموقد الأرضي و"المطبقية" وأنبوبة الغاز

بمثابة المطبخ - ففتح صنبور المياه ليملأ الزجاجة، فأصدر فحيحًا قويًا والهواء يخرج منه، ثم أنزل المياه حمراء بلون الدم. ارتبك رأفت وأبعد الزجاجة بسرعة من تحت الصنبور، وسكب المياه الحمراء التي كانت بها في الحوض، وهو يقول في نفسه أن هذه بالتأكيد مياه صدئة نزلت من المواسير التي لم يستخدمها أحد منذ فترة، وانتظر برهه حتى صارت المياه شفافة، فوضع الزجاجة تحت الصنبور وملأها ثم أغلقه، وعبر الصالة ليدخل غرفة النوم، وأمسك بقابس الكهرباء الموصول بالثلاجة فأدخله في المقبس، فسمع طنين موتور الثلاجة القديمة، وفتح بابها وكانت من الداخل فارغة ورائحتها مكتومة بعد اغلاقها بدون استخدام. وضع الزجاجة على رف منها وأغلق بابها، وتوجَّه ناحية شماعة الملابس فخلع جاكيت البذلة "السفاري"، والتفت ناحية الحقيبة يريد أن يخرج منها نعليه، ففوجئ بباب الثلاجة مفتوح!

- إيه ده! دنا لسه قافله ب إيديا دلوقتي! مالك يا رأفت مش مركز كده ليه؟!

كان متعجبًا وهو يتحرك صوب الثلاجة ليغلق بابها ويتأكد من إحكام إغلاقه، وهو يشعر بالإرهاق وبأنه في حاجه إلى أن ينام قليلًا ليرتاح من مشوار سفره. تثاءب وهو يفتح جيب حقيبته الجانبي

لكي يخرج النعلين منه، لكن "السوسته" استعصت على الفتح، وأبت أن تستجيب لزفراته ولعناته!

- ما تفتحي بقى يا زفته! هي الشنط الصيني كده رخيصة، وكل حاجه فيها بتخرب بسرعة!

كان يجذب "السوسته" المعطلة، وهو يخشى أن يشدها بقوة مخافة أن تنقطع، حتى كادت روحه تزهق، حين انفتحت شيئًا فشيئًا، فأخرج من الجيب نعليه وهو متضايق.

وضع النعلين على الأرضية، ونفض طرف السرير من التراب، وجلس لكي يخلع حذائه وجوربه، وأزاحهم بقدمه إلى ما تحت السرير، وانتعل خُفْيِّه وهو جالس يخلع بنطاله، ووقف بالفانلة الحمالات والشورت الأبيض والبنطال في يده، وتوجَّه ناحية الشماعة ليعلق البنطال عليها بجانب الجاكيت.

وعاد للفراش، فرفع الملاءة من على المرتبة القديمة، ووقف على باب الغرفة ينفضها في الصالة، ثم رجع ليبسط الملاءة على السرير، وأمسك الوسادة ينفضها بيديه من التراب، ووضعها على المرتبة، وأخرج من حقيبته منشفة وضعها على كتفه، وخرج للصالة ناحية الحوض ليفتح الصنبور يغسل وجهه وقدميه من

الغبار، فنزلت منها المياه الحمراء مرة أخرى. تسمَّر في مكانه مشدوهًا ينظر إليها باستغراب إلى أن صَفَت وشفَّت، فاغتسل وأغلق الصنبور وشرع يمسح وجهه بالمنشفة وهو متجه لغرفة النوم، فلمح بطرف عينه باب طرقة الخزين مواربًا!

- مش الباب ده كان مقفول من ساعة ما دخلت المكان أنا وعم إبراهيم؟ يمكن مكانش مقفول كويس وتيار هواء فتحه!

قصد ناحية باب طرقة الخزين، لكنه بدلًا من أن يغلقه، دفعه بيده لكي ينفتح. كان فضوله أن يرى ماذا في الطرقة.

- إيفففففففف!

كان يشم رائحة كريهة تنبعث من الطرقة، ووضع يده على أنفه يغطيه!

- تلاقيه فار ميت، وريحته عبقت المكان والباب بتاع الطرقة دي كان مقفول، ولا يمكن عشان الهواء مكتوم فيها من زمان!

كانت مظلمة، فضغط على مفتاح الإضاءة خارجها.. تك.. تك.. تك.. (فتح/قفل/فتح) فلم ينر المصباح!

- يمكن اللمبة محروقة، أو المفتاح مش شغال! أبقى أصلحها بكره!

ألقى نظرة داخل الغرفة الصغيرة، وعلى نور الصالة كان يرى الطرقة الضيقة وأرضيتها التي غطتها الجِوالات البلاستيكية، لكنه بخلاف ذلك لم يستطع رؤية أي شئ آخر جيدًا بسبب الظلمة.

جذب باب الطرقة من "الأكره" فأغلقها، ودخل غرفة النوم تاركًا بابها مفتوحًا للتهوية. بسط المنشفة على الوسادة، وخلع نعليه وهو جالس على طرف السرير، وكان على وشك أن يرقد على المرتبة، إلا أنه اعتدل مرة أخرى منتعلًا خفيه، وقام ناحية الشماعة، فأدخل يده في جيب البنطال لتخرج بالموبايل ومفتاح الشقة، وعاد للسرير فجلس وهو يضع المفتاح بجانب الوسادة، وخلع خفيه وتمدد على السرير مريحًا رأسه على الوسادة، وهو يشغل هاتفه. كانت الساعة 4:30 بعد العصر. دخل على المنبه فضبطه على الساعة 7:30 مساءًا، كي يوقظه ليخرج لتناول طعام العشاء في أي مطعم قريب، ووضع الهاتف بجانبه على مرتبة السرير، وأغمض عينيه وهو يفكر في حاله وبلده وأهله، وسرعان ما غلبه النوم.

بدأ الحلم برجل وامرأة، كانت تلك هي المرة الأولى التي يراهما فيها طوال حياته. الرؤية كانت مهتزه أمام عينيه، ولم يكن يرى أين يجلسان لأن الظلام كان حولهما من كل جانب، لكنه كان قادرًا

على أن يفهم ما يدور بينهما. كان يشعر بنفسه وكأنه خفيف كالريشة، كما لو كان طائرًا في الهواء، وهو يقترب منهما ويسمع كلامهما:

الرجل: نورتي بيتك ومطرحك يا صبوحة يا مراتي.

المرأة: منور بيك يا شحته يا جوزي. آهو مكان يتاوينا من الشارع لحد ما ربنا يفرجها عليك ويعدل الحال.

شحاته: بحبك يا بت. هو انا بتعب وادور على شغل كويس نعيش منه مستورين عشان مين غيرك إنتي يا مراتي يا غالية.

صباح: أنا معاك يا جوزي مطرح ما تروح ورجلي على رجلك وربنا يفرجها من عنده.

كان رأفت يسمعهما في الحلم وكأنهما حقيقة أمامه، ورأى شحاته وهو يقوم ناحية مفتاح الإضاءة ويضغط عليه. فجأة أنار المكان في الحلم، ورأى رأفت نفسه في الغرفة التي كان ينام فيها، وصباح جالسة على السرير، وشحاته زوجها يمشي ناحيتها ويجلس بجانبها. فزع رأفت حينما نظر حوله فوجد نفسه بالفعل معلق في سقف الغرفة، وهو يشاهد شحاته يأخذ زوجته بين ذراعيه ويربت على كتفيها، وسمعه يقول:

-شحاته: أهم حاجه لما أطلع بكره الصبح أسعى ع رزقنا، لا تفتحي شباك تطلي منه ولا باب حتى لو مين خبط عليكي متردیش ولا كأنك موجودة. إحنا ف بلد غريبه عننا، وانتي عرفاني بغير عليكي إزاي، وولاد الحرام مخلوش لولاد الحلال حاجة.

صباح: برضو كده يا راجل؟! إن مكنتش عارفني وأنا عارفه طبعك. كل اللي تقول عليه يمشي. إنت إطمن خالص ومتشيلش هم وربنا يسترها علينا.

شحاته: أصيله يا صبوحة.

ويرفع شحاته رأسه فجأة ناحية سقف الغرفة لينظر بغضب صامت لرأفت، الذي أحس بأن جسمه شُلَّ من الخوف، وفجأة وجد نفسه يقع ناحية الأرضية، فصرخ وقام في سريره مفزوعًا، أنفاسه مقطوعة، والعرق يغرق جسمه، فوجد كل شئ كما كان قبل أن ينام. مد يده للموبايل الذي كان بجواره ليعرف الوقت، فوجد الساعة 4:45! ابتلع لعابه بصعوبة، وهو يرقد مرة أخرى ويحاول تهدئة نفسه:

- ده إيه الكابوس الزفت ده اللي كان هيوقف قلبي؟! كله من تعب السفر والقلق. نام يا عم نام ريحلك ساعتين. كابوس يفوت ولا حد يموت!

نعست عيناه حينما ثقل جفناه بسبب الإرهاق، فاستغرق في النوم.

وجد نفسه في الغرفة مرة أخرى، أما الضوء الذي كان يتسلل من النافذة لينير المكان، فقد بدأ يضعف رويدًا رويدًا كلما كان الليل يقترب. رأى رأفت نفسه يغط في نوم عميق. واذا بذراع تخرج من تحت السرير. ذراع تتلوى كما لو كانت حيَّه وعليها خدوش ونقاط دم متجلطة، وأصابع كفها تتشنج وهي تنثني وتنبسط في رعشة شديدة. كان شكل الذراع يشل من الخوف، وهذا ما كان عليه حاله وهو يقف متخشبًا في مكانه يتابعها ببصره، وكأنها تبحث عن شئ لتقبض عليه. صعدت الذراع لأعلى، وزحفت على مرتبة السرير، وعندما لامست الأصابع ظهره تشنجت أكثر، وهي تحاول الإمساك به، وأظافرها تخدش فيه.

صرخ رأفت من الألم والرعب، وشهق وهو يقاوم نومه، وكأنه كان يكتم أنفاسه في أعماق المحيط، واعتدل جالسًا على المرتبة، وهو ينتفض وينظر حوله في خوف.

كانت الغرفة غارقة في ظلام مطبق، والتفت للنافذة فوجدها مغلقة! باب الغرفة الذي كان مفتوحًا على الصالة كان مغلقًا

كذلك! ليس هناك من ذرة ضوء حوله وكأنه أعمى. حتى من تحت عقب الباب كانت الصالة مظلمة. ولم يعد يذكر إن كان تركها منيرة، أم أنه أطفأ مصباحها قبل أن ينام. بدأ يبحث بكفه على المرتبة علَّه يمسك بهاتفه. قبضت الكف المتشنجة على ذراعه، وأظافر أصابعها الحادة تخدش فيه. صرخ وهو يهوش بذراعه الثاني، وهو لا يرى شيئًا حتى أمسك بالتليفون. أنار الشاشة، ففزع حينما طالعته الساعة 1:15 بعد منتصف الليل. كيف لم يشعر بنفسه كل هذا الوقت، ولم يسمع صوت المنبة؟ لا وقت لديه ليفكر. لابد أن يشغل الكشاف ليرى ما حوله. حالما انطلق شعاع الضوء من الكشاف، رأى أمامه جمجمة بشعة شعرها مبعثر، ومكان عينيها حفرتين مظلمتين. صرخت ف وجهه واختفت.

تراجع للوراء كالملسوع، حتى اصطدم ظهره ورأسه بالحائط، وأحس بيديه ورجليه وكأنهم شُلوا، حينما سمع صوت باب الطرقة -الذي كان مغلقًا في الصالة- يُفتَح، ورأى ضوءًا من تحت عقب باب غرفة نومه. حاول أن يصرخ أو يحرك حتى إصبعه، لكنه كان مشلولًا بأكمله. عيناه فقط هما اللتان كانتا مفتوحتين في فزع، وهو يرى ظل رِجْلين يقترب من باب غرفته، ورأى الباب يُفتَح، وظهر من وراءه هيكل عظمي يقف أمامه عند مدخل

الغرفة، له نفس الجمجمة التي رآها حينما أنار الكشاف، وعليه قميص نوم شفاف تظهر عظامه من تحته.

مد الهيكل ذراعه العظمية ناحية رأفت، وحرك أصابعه بمعنى (اتبعني). فجأة أحس رأفت بجسمه يتحرر من الشلل الذي كان يسيطر عليه. ووجد نفسه كالمسحور ينزل من على السرير، ويمشي وراء الهيكل الذي اتجه ناحية غرفة الخزين المضيئة، ودخلها وخلفه رأفت. كانت ضربات قلبه تخبط في صدره وكأنها جُنَّت، لكنه كان مسلوب الإرادة، وهو يرى الهيكل يشير لمكان محدد في أرضية الطرقة ويتبخر في الهواء.

بحث رأفت حوله فرأى "كوريك" من النوع الذي يستخدمه عمال البناء في الحفر، يرتكن للحائط في الغرفة. أمسك "الكوريك" ليضعه بجواره على الأرض حيث جلس عند المكان الذي كان الهيكل الشبح يشير إليه، وهو يرفع بيديه الإثنين أكوام الجِوالات البلاستيكية التي كانت تغطي الأرضية. تصاعدت الرائحة العفنة لتزكم أنفه، وأحس بأنه سيفرغ معدته، ولو أنها كانت فارغة. رأى تحتها ردمًا جديدًا لمكان كان محفورًا من وقت قريب. وقف وهو ممسك ب"الكوريك"، وبدأ يحفر في الردم بأقصى ما يحتمل من جهد، وشيئًا فشيئًا ظهرت معالم نفس قميص النوم الذي رآه على الهيكل، لكن الذي كان تحت الردم وبداخل القميص لم يكن

الهيكل. كان جسدًا منتفخًا ومتعفنًا لإمرأة. هي هي نفسها المرأة التي رآها في الكابوس. هي صباح!

لم يستطع أن يتحمل المنظر ولا الرائحة، وفزعت معدته لكنه لم يفرغها وإن تقلصت بشدة لأنها كانت خاوية، ولم تتحمل قدماه ثقل جسمه وهو واقف، فانهار جالسًا بجوار الحفرة وهو مصدوم مذهول مفزوع أخرس. فجأة انتفضت الجثة، وانفتحت عيناها وصرخت وهي تعتدل لتجلس في حفرتها. أمسكت يداها بقدميّ رأفت وهي تجذبه ناحيتها للحفرة. كان رأفت وهو يقاوم أن يغشى عليه، يرى أمامه كل شئ حدث...

شحاته وهو عائد من عمله مارًا بالمقهى الذي يجاور البيت. يلقي السلام على الرجال الجالسين. يردون عليه السلام بميوعه في أصواتهم، وبنظرة سخرية في أعينهم. وعند المدخل يتفاجأ بشاب غريب يراه لأول مرة في المنطقة، وهو خارج يجري للشارع وقميصه المفتوح الأزرة يخرج من بنطاله الذي كان يمسكه بيده محاولًا غلق "السوسته". تابعه شحاته باستغراب، وهو يسمع ضحك الناس في المقهى، فيُلقي نظرة عليهم ليراهم يغمزون لبعضهم البعض، وينظرون نحوه ويضحكون.

غلى الدم في رأسه، فجعله يعبر مدخل البيت والطرقة ما بين السلم والجدار في ثوانٍ معدودات، وإذا به يقف على الباب البُني يخبط عليه بيديه الإثنين وهو يصرخ بأعلى صوته:

- افتحي يا وليه! افتحي يا وليه!

شحاته لم يكن يرى ما وراء الباب لكن رأفت كان يرى.

كانت صباح ممدِّده بقميص النوم على السرير، تريح جسدها قليلًا بعد أن أنهت أعمالها المنزلية. كان المكان مرتبًا نظيفًا، ورائحة طعام الغداء تملأ جو الصالة، وتفتح الشهية. نعست عيناها قليلًا، لكن صوت الخبطات القوية على الباب جعلها تعتدل مفزوعة لتقول باضطراب:

- ميين؟! ميين ع الباب؟!

- أنا شحاته. افتحي يا وليه لأكسر الباب!

وفتحت صباح الباب فدخل شحاته كالثور الهائج مغلقًا الباب وراءه بقوة، وأمسكها من شعرها وفتح باب غرفة الخزين، وألقى بها على الأرضية، ودخل وأغلق الباب وراءه.

- بتخونيني يا صباح؟! ومع مين؟ مع عيل عره ميسواش مليم في سوق الكلاب!

كان يصرخ فيها، وهو ممسك برأسها بين يديه يخبطه بأرضية الغرفة بجنون، ويجلس بجسمه عليها وهي فاقدة للنطق من الصدمة فلم تتكلم.

- ما تردي عليا يا سافلة يا واطية. خنتيني ... هاه؟!

حاولت أن تتماسك، والدوار الذي يعصف بدماغها يجرها لبئر عميق مظلم ليس له قرار، وهي تهمس بضعف:

- لا والله ما حصل. حرام عليك تظلمني.

- حرام عليا؟ حُرمت عليكي عيشتك يا خاينة. أنا شفت كل حاجه بعنيا اللي ياكلهم الدود، واتفضحتْ خلاص وسيرتي بقت على لسان الناس اللي قاعدين ع القهوة. لازم أغسل عاري ب إيديا دول يا فاجرة.

كان وهو يصرخ يخبط رأسها بالأرضية بعنف، وانبثق الدم من الجرح خلف الرأس كصنبور مياه مفتوح. ضربات قلب رأفت تزيد وتزيد، وهو يرى الغضب الذي أعمى عينيّ شحاته. سمع وشحاته فجأة صوت كسر جمجمة صباح، وتشنج جسمها لآخر مرة قبل أن تُسلم الروح، ودموع القهر والظلم والألم تغرق خديها، وغاضت منهما نضرة وزهوة الحياة.

لم يتحمل قلب رأفت كل هذا الفزع والرعب والألم، وهو يرى كل الذي يحدث أمامه فتوقف. في الثواني الأخيرة له وهو يغيب في الظلام عن الدنيا، كان يرى شحاته يحفر لصباح ويدفنها، ويغطي مكان الدفن بالجِوالات البلاستيكية، وينظف المكان من الدم، ويغسل جسمه ويتخلص من ملابسه التي كانت الدماء تغرقها، وفي صباح اليوم التالي يقابل عم إبراهيم ليخبره بالذي قاله ويهرب لمكان بعيد لا يعرف أحدًا فيه ولا يعرفه أحد. حصل كل ذلك في ساعات بالطبع، لكن رأفت رآه في ثوانٍ قبل أن يتوقف قلبه عن النبض، ليموت بجوار الجثة التي وجدها في حفرتها.

كان قدره أن يكشف جريمة القتل التي كان من الممكن ألا يعلم بها أحد، لكن كان قدره أيضًا أن يكون ضحية كشفه هذا!

كش... مات

(8)

هواء ديسمبر البارد كان يغلف المدينة ويملأ طرقاتها، يثلج الأطراف الدافئة ويكاد يجمد الدماء في العروق، ثم يرتد عن الوجوه بعد أن صبغها بالشحوب.

أما ضباب الليل، فقد كان يحيط بالمارة ويحول أجسادهم إلى ما يشبه الظلال الرمادية التي تعبر الطريق في جو أسطوري.

منازل الإسكندرية بدت كقصور مصاصي الدماء بطلائها المتساقط وضخامتها والصمت الذي طوقها كأغلال فولاذية.

كانت حركة المارة قد بدأت في الإختفاء قليلًا وتلاشت أصوات خطوات الأقدام، ولم يعد هناك سوى أصداء قليلة سرعان ما ابتلعتها حلكة الطريق.

وبدا لدقائق أن الطريق سيحتفظ بهذا الهدوء المقبض لفترة طويلة، ولكن رجلان برزا بغتة من وسط الظلام ليعيدا للطريق جزءًا من حياته المفقودة.

كانا في أواخر الثلاثينات من العمر، عائدين للتو من تجمع لبعض أصدقاء المراهقة على أحد مقاهي الإسكندرية الضخمة القريبة من ساحل البحر.

كان الأول "محمود" قصير القامة ممتلئ الجسد إلى حدٍ ما، ذا ملامح هادئة وعينان ضيقتان بينما خطواته ضعيفة بطيئة وكأنه يخشى تحطيم هذا السكون.

أما الثاني "موسى" فكان لا يختلف كثيرًا عن صديقه وإن كان أطول قليلًا، ذا شعر أشقر خفيف للغاية بعد أن بدأ الصلع يغزو رأسه، وكان يفرك كفيه في قوة محاولًا بعث الدفء في أطرافه التي خدرتها البرودة.

كانا يتبادلان كلمات قليلة بنبرة صوت هادئة، ولكن فجأة برز من الظلام من أحد الأزقة الجانبية رجل عجوز خطواته زاحفة ثقيلة، وكأنه يجر ساقيه على الأرض جرًا، وأنفاسه اللاهثة تخرج بخار الماء من فمه وكأنه تنين ينفث اللهب، ذو ملامح متغضنة تعتلي قامته القصيرة التي تشبه قامة الأحدب.

توقف العجوز أمامهما بجسده الصغير، معترضًا طريقهما في خطوة بدت شبه إنتحارية لأن الإصطدام به كان شيئًا محتومًا، وهذا لن يكون في مصلحة جسده الضئيل على الإطلاق.

ولكنهما ابتلعا المفاجأة التي صاحبت ظهوره المفاجئ، وتغلبا على دهشتهما وهما يتفادياه بمعجزة، ثم أكملا سيرهما والعبارات الساخطة عليه تنهال من أفواههما، ولكن الرجل لحق بهما في سرعة بدت عجيبة بالنسبة لسنه الكبير، وهو يلهث وكأنه قارب على الموت:

- " أيها السيدان... مهلًا... أرجوكما! "

لم يكترثا له... إعتقدا أنه شحاذ أو شئ من هذا القبيل، فآثرا الإبتعاد ومواصلة طريقهما، لولا أن الرجل إعترض طريقهما مجددًا، فصرخ فيه أحدهما:

- " ما الذي تريده بالضبط؟ "

قال الرجل في تردد، وهو يحاول أن يضفي على لهجته المزيد من الإقناع:

- " إن معي شيئًا رائعًا أعرض عليكما شرائه " نظرا إلى بعضهما البعض نظرة خاصة متشككة، ونفس الفكرة تدور في عقليهما، أن الرجل ربما يبيع تلك الأشياء المحظورة قانونيا كزجاجة خمر أو ...

- " لسنا مهتمين بشراء أي شئ "

قالها "محمود" بلهجة قاطعة. وكأن الرجل أدرك ما يفكران فيه، فقال في سرعة:

- " إنه ليس شيئًا محظورًا ... صدقاني "

نظر "موسى" إلى الرجل، وعيناه تتسللان إلى تلك اللفة متوسطة الحجم التي يحملها الرجل بيده اليمنى في حرص. لقد عاوده فضوله القديم فقال:

- " حسنًا، لنرى ما لديك "

نظر إليه "محمود" في دهشة وقال:

- " ماذا دهاك؟! "

أجابه في هدوء:

- " لن نخسر شيئًا. سنرى ما معه، وإن لم يعجبنا سنذهب. هذا كل شئ "

ثم أدار رأسه للرجل مردفًا:

- " فلتسرع! ليس لدينا الكثير من الوقت "

تألقت عينا الرجل، وهو يفك ذلك الرباط السلكي الرفيع الذي يغلق تلك اللفة، ثم أخرج منها قطعة خشبية مربعة وصندوق معدني صغير مفتوح:

- " ها هو ذا. شطرنج نادر لن تجدا له مثيلًا قط "

ألقا نظرة لامبالية على الشطرنج، وكاد "موسى" أن يلقي بعبارة رافضة ويترك العجوز، لولا أن نظرة أخرى من عيونهم لما يحمله الرجل جعلتهم يشهقون من فرط الإنبهار... إنبهار حقيقي.

لقد كانت رقعة من الشطرنج رائعة الجمال، مصنوعة من الصدف والعاج المحاط بحاجز أسود اللون من الخشب المعشق الذي يعد تحفة في فن الأرابيسك، وفي الصندوق المعدني كانت توجد قطع الشطرنج نفسها وقد بدت رخامية، أو من مادة أشبه بالرخام لها ملمس زلق ولمعان خافت غريب.

كانت القطع مصنوعة على هيئة جيش من الحضارة المصرية القديمة، تتنوع ما بين جنود تحمل الحراب وأخرى تمتشق سيوفها والبقية تحمل دروعًا أنيقة. أما الوزيران فقد كانا على شكل حورس والملكان ذكراهما بقناع توت عنخ آمون الملكي.

شبح ابتسامة صغيرة كان يتراقص على ثغر العجوز وهو يرى ذلك الإنبهار الذي بدا صارخًا على وجهيّ الرجلين، ولكن سرعان ما تلاشت ابتسامته عندما نظر له "موسى" قائلا:

" إنها رائعة بالفعل. لا جدال في ذلك، ولكنها بالتأكيد مرتفعة الثمن "

رفع العجوز حاجبيه مستنكرًا، ولوح بذراعيه في إعتراض:

- " لا ... لا يا سيدي، إنها رخيصة للغاية "

تساءل "موسى":

- " بكم تبيعها إذًا؟! "

صمت العجوز للحظات، وهو يحدق في العيون المتلهفة الفاقدة للصبر، ثم قال:

- " إنها لن تكلفكم سوى عشرة جنيهات! "

كان قوله مفاجأة ضخمة لم يتوقعها أحدهما، فهتف "موسى" بدهشة:

- " ماذا؟! عشرة جنيهات؟! "

- " المبلغ كبير؟! إذن فلنجعله خمسة جنيهات! "

الدهشة كانت تملأهما بالفعل، وتلك الصفقة تبدو أكثر من غريبة. ساد الصمت لثوان والشكوك تعصف بالرجلين، وهما يحاولان التغلب على تلك الدهشة.

قال "محمود" بعد أن ألقى نظرة سريعة على صديقه:

- " المبلغ ليس كبيرًا يا رجل، كل ما هنالك هو أنك قد تجاوزت حاجز الشك الرفيع فى نفوسنا، وجعلتنا نتأكد من أنك تريد التخلص منها بأي طريقة. أخبرني، هل هي مسروقه أم ماذا؟! "

قاطعه العجوز بلهجة هي أقرب للغضب:

- " إنها ملكي. أقسم لكما أنها ملكي، ولكني أبيعها بهذا الثمن لأني فقير وأحتاج لأية نقود الآن. صدقانى أنا مضطر لذلك "

لم يبد الجواب مقنعًا ل"محمود"، فقال بنفس اللهجة المتشككة التي لم تفارقه:

- " كان بإمكانك أن تبيعها لأحد بائعي التحف أو..."

قاطعه العجوز مرة أخرى وقد نفد صبره:

- " سيدي، أين أجد بائع التحف في هذا الوقت المتأخر؟! إنكما الوحيدان أمامي، وأنا جائع للغاية ولن أستطيع الإنتظار إلى الغد كي أستطيع أن أبيعها "

نظر "موسى" إلى "محمود" في حيرة وكأنه يسأله رأيه، فقال "محمود":

- " إذا كنت تريد شراء هذه التحفة فإفعل، فإنها رغبة العجوز في بيعها بهذا الثمن. إنها فرصة بالفعل! "

أخذ العجوز النقود في سعادة، ووضع "موسى" الشطرنج تحت ذراعه ثم غادرا المكان. أما العجوز فقد توقف قليلًا وهو ينظر إلى الرجلين اللذين يبتعدان وعيناه تضيقان في غموض، ثم تنهد في إرتياح وهو يتجه نحو نفس الطريق المظلم الذي خرج منه.

وساد الصمت المكان مجددًا.

عند منزل "موسى" توقف الإثنان:

- " ألن تصعد لتجلس معي قليلًا؟ "

- " أتمزح؟! إنني منهك للغاية بعد هذه الليلة الحافلة، حتى أنني بالكاد أستطيع الوقوف! "

- " حسنًا .. أراك إذًا مساء الغد "

- " بالتأكيد "

صافحا بعضهما، ثم إتجه "موسى" نحو مدخل بنايته. صعد الدرج وهو يتحسس مواضع خطواته خشية الإنزلاق فى هذا الظلام.

سرعان ما بلغ شقته. فأخرج المفتاح من جيبه، وهو يجاهد حتى لا يسقط الشطرنج من يده ويتحطم.

فتح المزلاج ليدلف إلى شقته. هاجمه دفء المنزل ليمحو آثار برودة الليل، والدماء تسري فى الأوصال وتعيد اللون الوردى للوجه الشاحب.

أغلق باب الشقة خلفه، وهو يتجه نحو إحدى المناضد ويضع عليها الشطرنج فى حرص. ثم إتجه إلى حجرته حيث إرتدى منامته وذهب ليغتسل.

كان متعبًا بالفعل، والإرهاق يتغلغل في كل جزء من جسده، ولكنه قاوم رغبته العارمة فى أن ينام، فلقد قضى شراء تلك التحفة النادرة على آثار التعب وحلَّ مكانه الشعور بالإثارة الممتزجة بالسعادة. خرج من حجرته إلى الصالة حيث وضع الشطرنج، وأخرج القطع من الصندوق المعدني ليرصها فى أماكنها على الرقعة و... ولكن ما هذا؟!!

إحتقن وجهه في غضب، وهو يحدق في قطع الشطرنج ... لقد كانت تسعة وعشرون قطعة فقط ... أي تنقص ثلاث قطع!!!

حاول عقله أن يقلل من الشعور بأن الرجل خدعه ... قال لنفسه أنه يمكن وضع أي ثلاث قطع شطرنج رخيصة مكان القطع الناقصة ... ولكن ... هذا سيشوه من جمال تلك التحفة بالتأكيد.

تكلم صوت في أعماقه:

- " تشتري تلك التحفة بخمسة جنيهات، وتغضب لمجرد فقد ثلاث قطع؟! إن الرقعة بمفردها تقدر بثلاثمائة جنية فلماذا هذا الغضب إذًا؟! "

ترك الشطرنج في مكانه، وذهب إلى المطبخ ليعد شيئا يأكله، وهذا الإحساس بأنه تم خداعه لم يفارقه. كم تمنى وقتها لو أنه أحصى القطع قبل الشراء ولكن هذا الـ ...

توقف عقله فجأة عن التفكير. لقد إنقطعت الأضواء وهاجمه الظلام بلا رحمة. اللعنة! إن الكهرباء لم تنقطع منذ فترة طويلة، فلماذا يحدث ذلك الليلة؟!

أي حظ أسود هذا؟!

حسنًا ... أين الشموع؟! اتجه نحو المطبخ ثم ...

مهلًا! هل سمع صوتًا ما بالخارج؟!

لا ... بالتأكيد هو يتوهم ذلك ... أو ربما هو شيء ما قد حدث في الشقة المجاورة.

فتح الأدراج و... ولكنه ليس واهمًا!

إن الصوت يتتابع كدقات منتظمة تصدر من الصالة.

أضاء الشمعة بعد عدد لا بأس به من المحاولات الخاطئة في إشعال أعواد الثقاب. مع مثل ذلك التوتر ومع ذلك الإرتجاف الذي يحتوي يديك، لا تتوقع أن يتم أي شيء بسرعة وإتقان في نفس الوقت.

إتجه نحو الصالة، وعقله يستنكر أن يكون ما سمعه مجرد وهم ما. إنه تبرير سخيف، إنه صوت واضح لنفس الدقات المتتابعة، وهناك صوت آخر كالصراخ بدأ فى سماعه! صراخ؟!

ما الذي يحدث في الخارج؟!

التساؤل كان يفزعه، ولكنه عندما دخل الصالة في سرعة متوترة، والعرق البارد يغرق منامته، لم يجد شيئًا على ضوء الشمعة الضئيل.

- " مَنْ هنا؟! "

ولكن لا يوجد أي شخص في الصالة ليجيب على سؤاله، الذي خرج في لهجة خائفة مرتجفة. ثم بغتة لمح بطرف عينيه شيئًا يلمع على المنضدة التي وضع عليها الشطرنج، فأدار وجهه في سرعة، ولكن الظلام كان هناك، واختفى أي أثر لهذا اللمعان.

إقترب ليخترق بشمعته حجب الظلام و...

- " مَنْ هنا؟! "

الخوف قاسٍ ورهيب. إن الخوف معه في نفس الغرفة، معه داخل نفسه، الخوف هناك دائمًا، ودوى الصوت فجأة في أرجاء الشقة كلها!!

صوت صراخ ... أنين ... صوت رهيب ... مفزع.

تلفت حوله في رعب، وكأنه ينتظر هجومًا من مكان مجهول، ثم سقط قلبه بين قدميه، فقد برزت ظلال لامعة من ركن الحجرة. برزت فجأة من العدم ظلال تضخمت بسرعة رهيبة والتحمت بالسواد. إهتزت الشمعة في يده، ثم سقطت أرضًا. شيء ما يخبره أن تلك الظلال مألوفه لديه. تجسدت الظلال واتخذت هيئة آدمية و... وإقتربت منه.

إنها تخرج من الركن الذي وضع فيه الرقعة. أخذ يعدو بلا هدف في الظلام، أو حاول العدو، لأن ساقيه كانتا تهتزان من فرط الرعب الذي إجتاحه.

أراد أن يصرخ ولكن ...

الظلال تقترب ...

تراجع للوراء و... وإصطدم بالحائط.

تماسك وهو يحاول الفرار و...

كان هناك ذلك الجسد الذي بدا بشريًا وهو يعترض طريقه ...

صرخ:

- " مَنْ أنتم؟! "

كان الجسد شبه البشري يحمل شيئًا معدنيًا طويلًا في يده، وقبل أن يفيق من ذهوله، سمع أزيزًا ما، ورأى شيئًا رفيعًا ينطلق نحو جسده. أصابه شيءٌ كالسهم إنغرس في صدره. صرخ في ألم ... صرخ مئات الصرخات ... صرخات تحمل عذابًا وألمًا بلا حدود.

ثم سقط أرضًا، ورأى تلك الأجساد الكثيرة السوداء، وهي تحيط به إحاطة السوار بالمعصم، وفى ثوانٍ معدودات عاد كل شيء إلى حاله من الهدوء، وكأنَّ شيئًا لم يحدث!!

أما "محمود" فقد طال انتظاره لصديقه في الليلة التالية، وأخذ يحدث نفسه قائلًا:

- " لقد تأخر عليَّ "موسى" كثيرًا. إن مواعيده صارمة، فهو يأتي في وقته بلا تأخير ثانية واحدة، والآن ماذا حدث له؟! "

أمسك "محمود" بالتليفون، وإتصل برقم هاتف "موسى"، لكن لم يجبه أحد.

أعاد المحاولة أكثر من مرة، ولكن النتيجة كانت سلبية أيضًا.

إستبد به القلق، فذهب في إحدى سيارات الأجرة إلى شقة "موسى".

باب الشقة كان مفتوحًا، فأقلقه هذا أكثر، كما أن الأضواء كلها كانت مطفأة برغم أن الكهرباء لم تنقطع عن البناية.

- " موسى ... موسى ... أين أنت؟! "

كان يعدو في الحجرات المظلمة كالمدوغ يبحث عن صديقه، ولكنه لم يتلق أية إجابة لندائه المستمر.

- " اللعنة أين ذهب؟! "

ولكن توقف في الصالة بحركة حادة، ليحدق في ذلك البريق الهادئ الذي ينبعث من مكان فيها ...

إتجه نحو مكان البريق ليرى ما يحدث، فوجد رقعة الشطرنج هناك. نظر بدهشه إلى قطع الشطرنج التي تبدو واضحة بسبب ذلك البريق. تساءل في ذهول عن سبب ذلك الضوء الخافت، كما أن إحدى قطع الشطرنج كانت تهتز بحركات متتابعة. أمسك بها فى سرعة .. كانت قطعة الملك الأبيض .. لقد كانت تهتز بصورة غريبة في يده، وكأنها عصفور يرتجف .. نظرة أخرى متفحصة للقطعة وسط هذا الضوء الضئيل جعلته يتراجع في عنف حتى كاد أن يسقط أرضًا. جحظت عيناه في هلع .. نعم .. بدت ملامح الملك الأبيض مألوفة له إلى حدٍ كبير .. مألوفة بصورة رهيبة .. إنها بالقطع تشبه "موسى"!!!

يا إلهي .. كأنها تمثال مصغر له .. أدار رأسه بحركة سريعة .. لمح شخصًا ما خلفه .. حاول أن يفعل أي شيء .. ولكن سيفًا ضخمًا شق الهواء وهوى على جسده .. سقط الملك الأبيض أرضًا .. ثم سقط "محمود" بجانبه بلا حراك، وعادت الأضواء مرة أخرى بغتة، ولكن الشطرنج لم يكن هناك! فقط كانت هناك آثار دماء متجلطة على الأرض، وبخلاف ذلك كانت الشقة أكثر من عادية!!!

وفى شارعٍ ما ...

فى وقتٍ متأخرٍ من الليل ...

كان هناك عجوز ضئيل الجسد يلهث، وهو يحاول اللحاق بأحد العابرين ...

- " أيها السيد .. مهلًا .. أرجوك! "

إلتفت إليه الرجل فى تساؤل، فأردف العجوز:

- " إنَّ معي شيئًا رائعًا أعرض عليك شرائه! "

وبالتأكيد سيشتري الرجل الشطرنج ...

وبالتأكيد أيضًا سيكون العجوز في قمة سعادته بهذه الصفقة ...

وبدا أنَّ قطع الشطرنج في طريقها إلى الإكتمال!!!

جـــــدتــــــها

(9)

ماتت جدة زوجته. لم يكن يتوقع بالطبع من زوجته كل هذا الحزن لوفاة جدتها، لكنه جاراها في حزنها لحبه لها، وحاول أن يخفف عنها ألمها بقدر الإمكان.

مرت أيام العزاء التي أعقبت الدفن بطيئة مثقلة بالدموع واللون الأسود الكئيب.

ثم عادت الحياة لسابق عهدها كما هي العادة برغم كل شيء.

فقط كان هناك ذلك الإصرار الغريب من الزوجة على زيارة قبر جدتها، ولم يكن قد مضى على الدفن سوى أسبوع واحد!

تعجب الزوج كثيرًا، فقد زارت زوجته القبر حوالي أربع مرات في ذلك الأسبوع، وما أن انتهت أيام العزاء حتى سافرا إلى المدينة التي يسكنان بها، فمالها تصر على السفر مرة أخرى وتلح بهذا الإصرار العجيب؟!

عاهدته أنها لن تزور القبر مرة أخرى طوال حياتها، وأنَّ هذه الزيارة ستكون الأخيرة!

إزاء إصرارها وعهدها، ولحبه لها وافق.

قاد السيارة مصطحبًا زوجته، فوصلا قبل الغروب بساعة.

توقف بالسيارة على مدخل المقبرة قائلًا لها:

- لا تتأخري كثيرًا يا حبيبتي!

- ألن تذهب معي؟!

- إنها زيارتك الأخيرة لها، ولا أحب أن أقطع عليكِ حديثك معها!

عانقته بحب وامتنان، ثم هبطت من السيارة وتوجهت نحو المقبرة.

كان مرهقًا بعض الشيء، فأسند رأسه على عجلة القيادة مغمضًا عينيه.

لم يمض وقت طويل حتى عادت زوجته، فإذا بها تبتسم في سعادة لا تتناسب مع الموقف!

اندهش بالطبع، فقد توقع عودتها حزينة باكية.

- ترى ما هو سبب سعادتك زوجتي الغالية؟!

- لا شيء حبيبي! فقط شعرت براحة غامرة وأنا أودع جدتي الراحلة للمرة الأخيرة!

ما رأيك حبيبي في أن ألتقط صورة لنا الآن في السيارة لتكون ذكرى لتلك الزيارة؟!

أعقبت قولها بإخراج جوالها الأنيق من حقيبتها، وفتحت الكاميرا الأمامية وهي تحيط كتفه بساعدها وتقرَّب رأسه من رأسها، ثم التقطت الصورة "السِيلْفي" لهما!

عادا سويًا إلا أنَّ شيئًا ما كان قد تغير في جو البيت. شعر به لكنه لم يدرِكنهه.

كان كحضور قوي يرافقهما، بل وينام معهما في غرفتهما!

لم يُحَدِّث زوجته بالطبع عن ذلك. كان يسخر من نفسه ويربط بين شعوره المقبض وإرهاقه في العمل.

لاحظ أن زوجته تحب مشاهدة صورتهما تلك التي التقطتها لهما في السيارة كثيرًا.

فكر في مفاجئتها ليسعدها، فأرسل الصورة لهاتفه، ومرَّ في طريقه للعمل بأستوديو للتصوير، فأرسل الصورة لهاتف الشاب الذي يعمل هناك، وطلب منه تكبيرها وطباعتها.
كان سيضعها بعد طباعتها في برواز أنيق ويقدمها هدية لزوجته.
في اليوم التالي، مرَّ على الأستوديو وقدم إيصال الإستلام فناوله الشاب مظروفًا أبيض اللون بداخله الصورة.
أخرجها بلهفة وتفحصها، فإذا بالرعب يطل من عينيه بقوة!

كان ما أصابه بالفزع يجلس في الكرسي الخلفي من سيارته خلف زوجته تمامًا!

كانت جدتها تنظر معهما للكاميرا في سعادة!!!

صندوق

(10)

عادت لمنزلها عصرًا بعد يوم عمل شاق. إجتازت الفناء الخارجي، فرأت صندوقًا طوبيّ اللون متوسط الحجم بانتظارها على عتبة الباب الأمامي للمنزل!

رغم دهشتها حملته معها وهي تفتح الباب، ثم تدخل وتغلق الباب خلفها.

كان ثقيلًا نوعًا ما.

أول ما فعلته بالطبع هو وضع الصندوق على طاولة غرفة الصالون، ومن ثمَّ الجلوس على الكرسيّ القريب منها.

كان الصندوق مغلفًا ومربوطًا بعناية بتلك الشرائط الملونة التي تجدها دائمًا حول الهدايا!

- ترى مَنْ أرسل لي هذا الصندوق أو هذه الهدية ولأي مناسبة؟!

هكذا كانت تحدث نفسها، وهي تفك الشريط الملون، وتزيل الغلاف الذي يحيط بالصندوق.

ثم كان غطاء الصندوق هو آخر ما يفصلها عن المعرفة التي كانت تجهلها!

رفعت الغطاء ببطء.

كانت المفاجأة الغريبة أنَّ الصندوق لم يكن يحوي أي شيء على الإطلاق.

لقد كان مجرد صندوق له قاع فارغ تمامًا!

جلست مشدوهة تحدق فيه غير مصدقة، فقد كان ثقيلًا حين حملته بيديها وهي تدخل البيت!

- هل كنتُ أتخيله ثقيلًا؟! ما الحكمة من إرسال صندوق فارغ لبيتي؟! أي سخافة تلك؟!

كانت حانقة، وهي تجلس في مواجهة الصندوق الفارغ، مفكرة في تلك الأحداث الغريبة !

جحظت عيناها بشدة، حتى أنهما كادتا لهول ما ترى تقفزان من محجريهما، وهي تنظر إلى قاع الصندوق، الذي بدأت تظهر فيه معالم رأس، ظلت تتضح شيئًا فشيئًا حتى إكتملت. كانت رأسًا شيطانية بكل معنى الكلمة.

كان الوجه بشعًا، والشَعْر كحبال الليف الغليظة الخشنة، بيد أنَّ ما خفف عنها فزعها الذي كاد قلبها لهوله يقف، هو أنَّ العينين كانتا مغمضتين.

إنفتحت العينان فجأة، والرأس الشيطاني يعتدل بحركة مفزعة ليصبح أمامها وجهًا لوجه، وإتسع فمه الرهيب في صرخة هائلة لم يسمعها إنسان سواها، والجحيم يفور في نظراته إليها!

شُلَّ جسدها كله، وهي ترى برعبٍ فاق الحدود هذا الرأس يتداخل مع رأسها حتى صارا رأسًا واحدًا وهي تغيب عن الوعي وللأبد!

أراكَ قد عرفتَ الآن كل شيء، فهل يا ترى ستتغلب على فضولك، فلا تصطحب معك صندوق الهدايا، هذا الذي تجده الآن أمامك على عتبة بابك وتقاوم رغبتك في أن تدخل به المنزل، أو تفك شريطه الملون وترفع غطائه، لتنظر ماذا بداخله؟!

عمل سفلي

(11)

تحت جنح الظلام، وفي مقبرة قديمة، كان يحفر تحت أحد شواهد القبور المتهدمة.

كانت الساعة تقترب من الثانية صباحًا، والليل سيدٌ قوي يلف المكان بعباءته الثقيلة السوداء، إلا من كشاف كهربي صغير إستقر على الأرض الترابية، وهو يرسل شعاعًا من الضوء لينير له المكان.

لم يكن نباشًا للقبور، وإلا فما الداعي لنبش قبر عتيق؟!

كان يعمل مع رجل ملعون، الكثير من الناس يخافونه ويخشون الكلام عنه، لأنه كان يحترف السحر السفلي الأسود مقابل الكثير من الأموال.

كانت المهمة يسيرة : حفر قبر عتيق ووضع عمل سفلي بين عظام أحد الهياكل البالية للموتى داخل القبر في مقابل ألفٍ من الجنيهات.

إنتهى من الحفر، فأمسك بكشافه الصغير وهو يهبط داخل الحفرة، التي قادته إلى فتحة منخفضة تحت الأرض، إضطر معها أن يحني ظهره. كان الموت أمامه في كل أركان المقبرة، وقد بعثر العظام النخرة في مشهد مهول تقشعر له الأبدان.

عمد إلى أقرب هيكل عظمي، فجلس أمامه القرفصاء، وهو يخرج من جيبه العمل السفلي، ويمد يده نحو العظام البالية ليضعه بينها.

كان ذلك حين ظهر ذلك الظل أمامه على الحائط.

شيء ما كان يقف وراءه صانعًا هذا الظل الثابت الذي لا يتحرك.

ارتعدت فرائصه وارتعش جسده وجف ريقه.

جمد في مكانه مغمضًا عينيه، وأسنانه تصطك في رعب مجنون.

كان يظن أنه حينما يفتحهما مجددًا، فإنه لن يرى ذلك الظل!

فتح عينيه ببطء، فإذا بالظل أمامه!

كان كيانًا أشد سوادًا من ظلام الليل!

كانت صرخة الرجل الرهيبة، التي شقت سكون الليل، هي آخر شيء فعله في حياته!

مـــــرآة

(12)

كان شابًا ثريًا يهوى إقتناء التحف النادرة والغريبة، وكانت زوجته تحبه لأنه كان يعشقها ويعاملها برقة شديدة تجعلها تشعر وكأنها ملكة جمال الكون وفاتنة العالم بأسره. لذا كانت تشاركه فرحته كلما اشترى تحفة أصلية وجعلها في أحد الأركان المميزة في فيلتهما الأنيقة. كان حبهما مضرب الأمثال وكانت السعادة ترافقهما أينما حلا.

ذات يوم توقفت شاحنة صغيرة أمام باب الفيلا، وفتح الحارس لها الباب بعد أن كان صاحب الفيلا قد أبلغه مسبقًا بموعد وصولها. دخلت الشاحنة ساحة الفيلا التي كانت جنة خضراء، وتوقفت أمام بابها المزخرف بإتقان، وترجل منها شخصان تعاونا على حمل

صندوق كبير من الكرتون بحرص شديد فأدخلاه الفيلا، وكانت هي وزوجها في استقبالهما.

كانا يسترشدان بتوجيهاته، حتى وضعا حملهما الثمين في غرفة مكتبه الضخمة، التي ازدانت جدرانها بآلاف الكتب والمجلدات والموسوعات، وكانت تتبعهم في دهشة وترقب، فلم يكن زوجها قد أبلغها قبلًا بأنه اشترى أيًا من التحف!

نقدهما أجرهما وغادرا الفيلا، أما هو فالتفت إلى زوجته قائلًا لها:

- لقد إدخرتُ لكِ مفاجأة رائعة!

أزاح غطاء الصندوق الكرتوني والبطانة الفلينية، فتبدت من ورائها مرآة كبيرة مزخرفة رائعة الشكل، لها حامل تزينه التماثيل الإغريقية المتقنة الصنع!

شهقت في انبهار، وهي تلمس بيدها زجاج المرآة البللوري النقي، الذي كان يعكس صورتهما بدقة مذهلة التفاصيل. كانت من أروع التحف التي رأتها في حياتها.

- كانت هذه التحفة في قصر أحد اللوردات الإنجليز بلندن، وعرضها الورثة للبيع في مزاد علني، فهاتفت أحد أصدقائي هناك كي يحضر المزاد ويشتريها لي، وأرسلت له ثمنها وشحنها لي وهاهي تزين فيلتنا وغرفة مكتبي الأثيرة!

كانت سعيدة لفرحته فعانقته، وخرجا معًا للتمشية في حديقة الفيلا.

يومًا بعد يوم كانت ساعات جلوسه في غرفة مكتبة تزداد، وكانت زوجته ترجع ذلك إلى إنشغاله بأعماله أو بقراءاته المختلفة، لكن ذلك

التفسير لم يكن كافيًا لكي يقنعها بتغير معاملته لها من الرقة إلى القسوة، ومن الوداعة إلى العنف!

كانت نائمة ذات ليلة في سريرهما، لكن شيئًا ما جعلها تستيقظ فجأة، فإذا بزوجها وهو واقف أمامها مشهرًا سكين المطبخ الضخمة في وجهها، وعيناه تقدحان بالشرر، ومن دون سابق إنذار، إنهال على جسدها طعنًا، فمزقها شر ممزق في ثورة مجنونة.

أصابه الفزع من هول فعلته، فأسرع بالنزول إلى غرفة مكتبه، لكنه فور دخولها توقف أمام المرآة في سكون وطاعة.

مرت دقيقة وهو مشدوه يحدق في المرآة، وكأنه يشاهد شيئًا ما، ثم توجه إلى مكتبه، ففتح درجه وأمسك بمسدسه وعاد إلى مكانه أمام المرآة وصوب المسدس لرأسه وضغط الزناد، فاخترقت الرصاصة مخه ففجرته إلى أشلاء متناثرة، وهو يسقط على الأرض جثة هامدة!

لو كنتَ هناك وقتها، لكان بإمكانك أن ترى شبح إبتسامة ساخرة يرتسم على زجاج المرآة البللوري الرائع!

يـــــد

(13)

حالة غريبة تلك التي ألَمَّتْ بي منذ أن قرأت قصة الرعب القصيرة " اليد المقطوعة " لهيتشكوك. ظلَّ خيال تلك اليد الملعونة السوداء ذات الأظافر المخلبية يتوغل في ثنايا عقلي، فيشغل تفكيري ويكتسح قدرتي على المقاومة في أن أصرف انتباهي لأي شيء آخر سواها.

كان السؤال الذي يؤرقني هو: كيف تخلصت تلك اليد البشعة من السلاسل التي كانت تقيدها، وأين اختفت فجأة في نهاية القصة؟

لكن لماذا أُعَذِّبُ نفسي بالتفكير في مصيرها؟! فلتذهب إلى الجحيم من حيث جاءت، فهو مكانها على أي حال!

كنتُ أحتفظ بكتبي وأوراقي القديمة في قبو المنزل. بطبيعة الحال، لابد وأن يصيبك الأرق في ليلة ما من ليالي الصيف الحارة، فلا يغمض لك جفن. تتقلب في فراشك وكأنه الجمر تُشْوَى عليه! تقوم من رقادك، وتتوجه إلى ثلاجتك العتيقة، فتفتح بابها لتسكب الماء البارد شلالًا في جوفك المشتعل، علَّكَ تطفيء تلك الحرارة التي تخنق جسدك!

هكذا كان حالي، عندما عاودتني ذكريات دراستي وأصدقاء المدرسة، فغرقت في نوستالجيا الحنين إلى الماضي، وتملكتني الرغبة في مطالعة تلك الأيام البعيدة عن كثب.

فتحتُ باب القبو، وأَضَأْتُ مصباحه الكهربي الذي علاه الغبار، ونزلت الدَرَج الخشبي. كان كل شيء في مكانه، وقد غطاه تعاقب الأيام باللون الترابي المميز.

كنت أبحث عن ألبوم الصور الذي كان يحوي الكثير من الذكريات التي لن تُنسَى.

فتشت عنه في ثلاث كراتين وسط أكوام الغبار التي تطايرت في الهواء فلم أعثر له على أثر. هكذا كنتُ متيقنًا من وجوده في الكرتونة الأخيرة التي كانت تقبع في ركن الغرفة باستكانه تثير التوجس والحيرة وكأنها تناديك:

- " ألا فلتقترب! "

توجهتُ صوبها، وحال اقترابي منها سمعت صوتًا ما بداخلها. توقفت في مكاني لأصغِ السمع جيدًا فسكن الصوت. وحالما شرعت في الخطو مجددًا عاد مرة أخرى!

كان كصوت خشخشة الأوراق. شيء ما يجوس بين كتبي وأوراقي القديمة.

داهمتني تلك الفكرة المرعبة، كقطار هائج أفلت عن مساره فجأة واصطدم بي!

- " لابد وأنه فأر لعين يتسلى بكتبي وأوراقي القديمة فيدمرها! بل وربما كان الآن يقرض ألبوم صوري الأثير! "

أتَلَفَّتُ حولي باحثًا عن أي عصا، فأرى مكنسة قديمة تستند إلى الجدار. أثِبُ إليها فأُمْسِكُ بها وأقتربُ بلهفة من الكرتونة فأَمُدُ عصا المكنسة بحذر لأفتحها.

توقعتُ حال فتحها أن يقفز الفأر في وجهي، فبقيتُ على مسافة منها، غير أنه لم يحدث شيء. ربما كنتُ واهمًا!

إقتربتُ في حذر لأنظر بداخلها و...

قفزتْ يدٌ سوداء متيبسة الأصابع مخلبية الأظافر في وجهي فأحاطت بعنقي، والتفتْ الأصابع حول رقبتي تعتصرها بقوة رهيبة.

أفلتُ المكنسة، وأمسكتُ اليدَ بِقَبْضَتَيَّ، أجاهدُ لتحرير رقبتي منها،

لكنها كانت أشدّ التصاقًا برقبتي وكأنها جلدي.

سقطتُ أرضًا وأنا أختنق.

كانت قصة هيتشكوك القديمة تنظر إليَّ من داخل الكرتونة في سخرية وتَشَفٍ، وقد غطتها خيوط العنكبوت!

رُعاف

(14)

برودة أرضية الحمام تتسرب إلى جسمه، وهو يقاوم فقدان الوعي!

كان يتحاشي النظر إلى شلال الدماء الذي أغرق منامته الرمادية.

سدَّ فتحتي أنفه باستماته حتى يوقف نزيف الدماء منهما! تحامل على نفسه وهو يحاول الزحف على الأرضية المبللة، علَّه يستطيع الوصول للردهة حيث ترك جواله فوق الطاولة!

تُراكَ تتساءل عما حدث له!

سأخبرك بالطبع!

كان زوجًا وأباً لطفلين، وقد خطط وزوجته للسفر إلى الأسكندرية لقضاء العطلة الصيفية، غير أنَّ بعض الأعمال التي طرأت له أجَّلَت ذهابه معهم، فسافروا برفقة خالهم ووعدهم باللحاق بهم قريبًا.

بعد يوم عمل مرهق، تناول العشاء في الخارج، ثم عاد لشقته، فارتدى منامته وتمدد على الأريكة أمام التلفاز، ثم غلبه النعاس فنام!

فجأة انتفض من نومه، وقد شعر بسائل دافيء ينساب على فمه

ورقبته، فقام من فوره وهو يتخبط في مشيته قاصدًا الحمام، وطالع وجهه في المرآة، فاستبد به الذعر من نزيف الدماء الذي كان يتدفق غزيرًا من أنفه!

كان يعاني رهاب الدم (هيموفوبيا)، فداهمه دوار عنيف أسقطه أرضًا.

بعد مجهود عنيف، استطاع الإقتراب من الطاولة، ومد يده في مشقة كي يتناول هاتفه ليتصل بالإسعاف، فإذا بشحن البطارية يطلق الإنذار الأخير، قبل أن يلفظ الهاتف أنفاسه الأخيرة!

فجأة فقد الوعي، تاركًا بركة الدم الذي يسيل من أنفه تتسع!

الـروبـوت الأخير

(15)

تسلل إليه الوعي تدريجيًا بشكل بطيء للغاية. لكي يميز الموجودات من حوله استغرق عقله، الذي تراصت فيه رقاقات السيليكون البيولوجية ذات الذكاء الإصطناعي الفائق، قرابة خمس دقائق كاملة. كانت دهشته لا توصف إذ أنه كان من طراز متقدم للغاية وقد كان بإمكانه أن يقوم بحل أكثر العمليات الحسابية صعوبة وتعقيدًا وأشد المعضلات المنطقية تداخلًا وتشابكًا في ثوانٍ معدودات !

_ترى ما الذي حدث لك ؟!

كان يخاطب نفسه في استغراب شديد وهو لا يكاد يصدق. أدرك في تراخي أطرافه واستكانته التي لم يعهدها من قبل أنَّ شيئًا ما على غير ما يرام.

تحسس بيديه المكان من حوله وهو مازال على وضعه الغريب. كان راقدٌ على تلٍ صغير نبتت على سطحه الرطب بعض الأعشاب الهزيلة.

رأى أمامه في الأفق البعيد ضوء الشمس المحتضر يؤذن بليلٍ قادم عما قليل. لقد انتهى يومه الطويل وهو لا يدرك من أمره شيئًا !

_ما الذي حدث لك أيها الآلي المتهالك في رقدتك ؟!

كان يسخر من نفسه. بالطبع لم يكن هذا هو عهده بإمكاناته الفائقة التي زوده بها آخر فريق من المهندسين التقنيين الذين صممو مشروع الروبوتات الفضائية المتطورة.

إن بمقدوره أن يسترجع أحداث ذلك اليوم البعيد الذي صار فيه مدركًا لوجوده وكينونته. كان ذلك في فصل الخريف من العام 2200 الميلادي. في ذلك الوقت كان الفريق العلمي الهندسي الذي ابتكر التصاميم المتطورة لمجموعة الروبوتات شبه البشرية قد قام بإدخال الكثير من التعديلات على المشروع الإنتاجي في نسخته النهائية بعد العديد من الأبحاث والدراسات المكثفة التي دامت لعشرات السنوات من عمر البشرية، تولى فيها طاقم من أكفأ رؤساء الأقسام العلمية الهندسية مسئولية رفع المستوى التقني والقدرات المهارية للروبوتات إلى الحد الأقصى في خطوة غير مسبوقة من قبل في تاريخ صناعة وانتاج الآليين فائقي القدرات. كان أهم ما يميز السلالة الأخيرة المتطورة من الروبوتات هو برنامج محاكاة المشاعر البشرية الذي تم انجازه على نحو مبهر للغاية. كان هذا البرنامج يتيح للروبوتات فهم وتحليل المشاعر الإنسانية، بل ويجعل بمقدورها أن تحاكي تلك المشاعر بدقة وكفاءة.

مازال يحفظ بذاكرته الرهيبة لحظة أن وجد نفسه فجأة مدركًا لوجوده واعيًا بمَنْ حوله من زملائه الآليين الثلاثة حين صدر الأمر من قائد الفريق البحثي المكلف بالمشروع بالتشغيل التجريبي الأول لهم...

يومها إقترب منه القائد في فخر وربت على كتفه، تمامًا كما يربت صديق على كتف صديق عزيز عليه، وتحدث مع باقي أفراد الفريق بشأن بعض التعديلات المقترحة.

_كان تربيته على كتفي وفق برنامج المحاكاة البشرية يبدو مؤثرًا للغاية، فقد جعلني في حالة شعرت وقتها بأن هذا الرجل الرائع يعاملني كبشر لا كمجرد آله تنفذ الأوامر الصادرة لها فحسب دون مراعاة لكدها واجتهادها في اتقان كل ما هي مسئولة عنه.

هكذا كان يحدث نفسه بذكريات ماضيه التي تحاكي شعور السعادة حين يذكر أن رئيس الفريق قد اختصه بقيادة الطراز الفائق من الروبوتات المطورة، ولهذا كان له السبق في أن تمت إضافة المزيد من المهارات والقدرات التقنية له.

ارتسمت في ذاكرته تلك الأوقات الرائعة التي قضاها بصحبة رئيس فريق العمل في الإشراف على الروبوتات والصيانة والفحص الدوري لها.

_كم هو رائع هذا الرجل ! لقد كان يصحبني في الكثير من جولاته وكان يهتم بي وكأنني صديقه المقرب !

دارت تلك الذكريات بذهنه نصف الإليكتروني قبل أن يتساءل وهو يشعر بأن أطرافه المتثاقلة تأبى أن تطيعه في محاولته للنهوض من رقدته الغريبة تلك، التي كان يفترش فيها ذلك التل الصغير:

_ماذا حدث لي ولزملائي ؟!

كانت شمس النهار قد أشرفت على الإحتضار وجيوش الظلام تزحف عليها من كل جانب فتحيط بها إحاطة السوار بالمعصم وتطعنها برماحها المسمومة ذات النصال الحادة فتتفجر دماؤها لتصبغ الأفق البعيد بالأحمر الدموي في مشهد شديد الكآبة شعر من خلاله عن طريق المحاكاة وكأن صدره انقبض، ولو كان بشري التكوين لكنا قد رأينا الدموع تترقرق في عينيه الحزينتين ! كان رفاقه الثلاثة على مقربة منه لكنهم كانو قد هلكو جميعًا !

قاوم محاكاته التي جعلته يعيش الشعور بالحزن والألم، وهو يعتدل أخيرًا فيجلس من رقاد. استدارت رأسه المعدنية يمنةً ويسرةً في ايقاع رتيب وبطريقة آلية سادها البطء على غير المعهود، فلم يرَ سوى المئات من الروبوتات من السلالات الأقل تطورًا وهم يفترشون الأرض

المستوية أسفل التل في فوضى عارمة، وأطرافهم المعدنية تهتز بتشنج عجيب في ارتعاش رهيب ثم تخمد للأبد !

ظل يحدق فيهم في دهشة تمتزج بالحيرة وعدم القدرة على التفسير، وكأنه لا يدرك حقيقة ما حاق بهم أو أنه قد أُصيب بفقدانٍ مؤقت في ذاكرته الفائقة.

كانت محاكاته للمشاعر البشرية من القوة لدرجة أنها صدمته بالحقيقة فجأة، فصعقته لهولها وهو يغمغم لنفسه قائلًا بصوته المعدني النبرات:

_ل... لاب... لابددد ووووأن... أنه ال... فيرووووس !

اعترته الدهشة والذعر من ثقل لسانه المفاجئ لكنه لم يلق بالًا لذلك فلقد تذكر كل شيء الآن.

كانت الأمور تسير على نحو جيد للغاية. لقد خدم فريق الروبوتات الفائق القدرات فوق المستعمرة المريخية البشرية XN231 جنبًا إلى جنب مع باقي السلالات الآلية الأقل تطورًا وقدمو الكثير من المساعدات للبشر الذين نجو من الحرب النووية الرابعة على كوكب الأرض، والتي أحالت الكثير من أجزائه إلى حطام مدمر ملوَّث بالعناصر الإشعاعية القاتلة لكل أشكال الحياة.

كانت رُحى الحرب قد دارت بطبيعة الحال بين المعسكرين الشرقي والغربي. كان الخاسر الأكبر في تلك الحرب هو كوكب الأرض، وانعكس ذلك بالسلب على حياة البشر الذين تضاعف احتياجهم للغذاء والماء وكافة مقومات الحياة بدرجة مخيفة. وفي الفترة التي أعقبت الحرب النووية كانت هناك حرب أخرى باردة أشد ضراوة وفتكًا تجري في الخفاء هي الحرب التكنولوجية والإليكترونية. كان المعسكر الغربي يحاول منذ زمن بعيد يسبق بكثير الحرب النووية إدخال العنصر البيولوجي الحيوي مدمجًا مع رقاقات السيليكون ودوائر الطاقة والموصلات الفائقة في تصنيع السلالات متطورة القدرات من الروبوتات. كانت المحاولات تسير في تزامن مقصود مع أبحاث بناء المستعمرات على كوكب المريخ. إن الخطة واضحة فقد كان المخطط هو أن يتم نقل الروبوتات على اختلاف تطورها وصولًا إلى السلالة الفائقة جنبًا إلى جنب مع الصفوة من المعسكر الغربي إلى المستعمرات المريخية فور الإنتهاء منها وذلك لإستحالة الحياة على كوكب الأرض في الكثير من المناطق التي انتشر فيها التلوث الإشعاعي القاتل.

كان المعسكر الشرقي سباقًا في بناء أول مستعمراته على كوكب المريخ، مما أثار جنون وسخط قادة المعسكر الغربي الذين كان جلُّ ميزانيتهم منصبًا على تقوية الجانب العسكري والدفاعي. وفور أن تم الإعلان عن مشروع الروبوتات شبه البشرية، استشعر المعسكر الشرقي خطورته

وعارض المعسكر الغربي بقوة. كان من رأي المعسكر الشرقي أن وجود مثل هذه السلالة فائقة القدرات من الآليين قد يؤدي بهم مع مرور الزمن إلى تطوير قدراتهم بأنفسهم، مما قد يمكنهم من التحكم في البشر أو القضاء عليهم مع وجود العنصر البيولوجي الحيوي في مكونات الروبوتات. وافترض المعسكر الشرقي أنَّ هذه المحاولة من الدمج الإليكترو-بيولوجي لن تكون مضمونة النتائج، وقد تنعكس بطريقة خطيرة تهدد الوجود البشري بأكمله.

رفض المعسكر الغربي بالطبع أن يستمع لآراء المعسكر الشرقي، واستمر في تحديه الوقح لكل مبادئ العقل والمنطق. كان المعسكر الشرقي يتوقع مثل هذا الرفض، ولذا فقد دبر خطة محكمة تمكنه من القضاء على هذا المشروع الخطير قبل أن يفنى الجنس البشري الذي بقي على قيد الحياة بعد انتهاء الحرب.

كانت حرب الجواسيس من أقوى أسلحة الحرب الباردة، وقد تفوق المعسكران الشرقي والغربي فيها على حدٍ سواء. كانت الخطة أن يقوم المعسكر الشرقي بزرع أحد أقوى العملاء داخل المؤسسة البحثية التي كانت تدير مشروع الروبوتات شبه البشرية مزودًا بنوع متطور من الفيروسات التي تؤثر على الخلايا البيولوجية العصبية فتؤدي إلى التشويش المتعمد لإدراك الروبوتات بأن البشر أصدقاء، فتصورهم

كأعداء مستبدين وتزرع في ذاكرتهم المعلومات المغلوطة والتي تؤكد لهم وصولهم لمرحلة متقدمة من التطور خلقت فيهم نوعًا من الإرادة الذاتية المستقلة التي ترفض أي تحكم أو سيطرة عليهم من جانب البشر. نجح العميل في مهمته الخطيرة والحساسة للغاية، فقد كان للفيروس مؤقت زمني بحيث لا يظهر تأثيره على الروبوتات إلا بعد أن يُتم المعسكر الغربي مهمة نقلهم خارج كوكب الأرض حتى يتخلص البشر من خطرهم إذا ما فشلت الخطة.

كانت حياة البشر الذين يستوطنون المستعمرات المريخية الغربية مع الآليين هادئة مستقرة، ولكن بذور التمرد التي زرعها الفيروس ونبتت في الخفاء كانت هي القشة التي قصمت ظهر ذلك المشروع الخطير. ومع انتهاء العد التنازلي لسريان مفعول الفيروس، انطلق بقوة وسرعة يشوش ويؤثر على إدراك الروبوتات للبشر ويقوي داخلهم ذلك الشعور الزائف بأحقيتهم في الثورة والتمرد، لما يتمتعون به من إرادة ذاتية مستقلة فتمردو على حكم البشر للآليين وكان اعتقادهم بجدارتهم في قيادة المستعمرات الغربية قد بات يسري بينهم سريان النار في الهشيم.

كان رفيقنا قائد الروبوتات ورفاقه الثلاثة من طراز متطور للغاية فلم يؤثر عليهم ذلك الفيروس لمناعتهم الفائقة، ولهذا فقد كانو ضد هذا التمرد وقررو عقد إجتماع طارئ لمناقشة مجموعة الروبوتات بأكملها

في أسباب تمردهم وسخطهم ولمعرفة مطالبهم. تحدث القائد عن فضل البشر على الآليين وأنهم مَنْ أوجدهم في هذا الكون، وكيف أن هذا التمرد عمل خطير وغير مشروع، وقد تعود عليهم عاقبته بالدمار والهلاك. سَفَّه المتآمرون من رأيه وتكتلو ضده ورفاقه الأوفياء وقررو نشر هذا التمرد في سائر المستعمرات الفضائية حتى تكون الغلبة لهم والحكم بأمرهم.

كان البشر من المعسكر الغربي يراقبون تحركات الروبوتات الغامضة وسلوكهم الذي تغير فبدا غريبًا لم يَخْبُروه من قبل، وما كانو ليتوقعو أن يخطط الآليون للتمرد عليهم.

وأُسقط في يد الروبوت القائد، حين فقد الأمل في السيطرة على فريق الآليين، ومحاولة إجهاض هذا التمرد ووأده في مهده قبل أن تشب ناره فتدمر كل شيء.

لماذا لم ينذر البشر بهذا الخطر القادم ؟! إنه رغم ولائه لصانعيه كان في حيرة من أمره ! أينذر البشر فيدمرون فريقه من الآليين ورفاقه، أم يحاول معهم مره تلو الأخرى حتى يتمكن من اقناعهم بالعدول عن مخططهم المهلك.

كان شعوره بالثقة بإمكاناته عن طريق المحاكاة كبيرًا في أنه سيتمكن من تسوية هذا الأمر والسيطرة على الوضع المتأزم، وفكر أنه حتى في أسوأ الحالات فإن فريق الروبوتات لن يكون بمقدوره هزيمة صانعيه، وسينتهي تمردهم الأحمق بالفشل الذريع. استراح لتلك الخواطر المسكِّنة التي أوهمته بأن المشكلة في طريقها للحل.

..... حدث كل شيء في غضون دقائق قليلة. تولى الفريق الهندسي للمعسكر الغربي دس الفيروس التدميري الإليكترو-بيولوجي عبر الحواسيب العملاقة التي تتصل بشبكات توجيه وإدارة برنامج عمل الروبوتات، مما أدى لإصابتها بما يشبه الصرع وتشنج الأطراف الذي كان يعقبه توقف لجميع الوظائف الآلية الحيوية في الدماغ، ومن ثمَّ الهلاك. كان التدمير شاملًا لكل السلالات الآلية بلا استثناء !

غير أنَّ القائد حين داهمته تلك التشنجات العنيفة التي جعلت أطرافه ترتعش بشده وزلزلت هيكله المعدني رغمًا عنه، كان لا يكاد يصدق أنه ورفاقه الثلاثة قد تمت التضحية بهم، رغم أنهم كانو ضد التمرد وحاولو وقف زحفه. وتساءل بينه وبين نفسه في ألم وحزن:

_كيف يحدث لنا هذا بعد ما قدمناه من خدمات للبشر؟! هل من الممكن أن يكون أبي قد تخلى عني وتركهم يدسون لي ولرفاقي الثلاثة

الفيروس التدميري في برنامج التشغيل، وقد كان رفيقي وكان يعتني بي كأشد ما يعتني الأب بإبنه ؟! لقد كنا ضد التمرد فلماذا يكون مصيرنا هو نفس مصير المتمردين ؟! لماذا ؟! لمااااااذا ؟!

كانت تلك التساؤلات الحائرة تعصف بكيانه غير أن لسانه لم ينطق سوى بكلمتين:

_لقدددددد انتهههههيت !

قالها وتهالك على نفسه. توقف تشنج الروبوتات وساد صمت الموت المكان إلا من محاكاة أخيرة لمشاعر البشر صورت له قطرة من الدموع ترقرقت في إحدى عينيه، وانسابت رويدًا على خده المصقول قبل أن تسقط على الأرض بجوار ساقه المعدنية المتيبسة !

زمـان

(16)

(أ)

كنتُ خائفةً منه عندما رأيته لأول مرة ! كانت سنوات عمري القليلة شفيعي في ذلك. وربما كان السبب الذي عرفته فيما بعد من أبي أيضًا هو سفره المتكرر لمتابعة أعماله التجارية خارج البلاد، والذي كان في أغلبه طويل.

كان وجهه متغضنًا يختلف تمام الإختلاف عن وجه أبي الذي أجده ناعمًا كلما لمسته يدي الصغيرة أو تحسسته وهو يقبلني ويلاعبني. وكان شعر رأسه ولحيته الكثة أبيضي اللون، ولهذا استبد بي العجب إذ كنت لا أدري أَوُلِدَ هكذا أم أنه قد دهنهما بالطلاء الأبيض ؟! كانت ظنوني سخيفة بالطبع، ولكن قل لي بالله عليك: لماذا أجدُ كلَّ مَنْ حولي باستثنائه يمتلكون شعرًا أسود اللون ؟!

كان جسده ضعيفًا لا يقوى على الوقوف كثيرًا، فكان يقف متكئًا على عصاه بظهرٍ محني. وطالعتني لدى رؤيتي له للوهلة الأولى صور الأشباح والسحرة التي كانت مخيلتي الخصبة دومًا ما تجترها وتسترجعها مرارًا وتكرارًا من حكايات أمي وأنا راقدة وحدي بالليل في سريري الصغير بعد أن ينام أبي وأمي.

كم تساءلت كثيرًا وقتها فلم أحر جوابًا: لماذا تحكي لي أمي هذا النوع المخيف من القصص قبل نومي ؟! علمت فيما بعد أن هذا الخطأ

موروث، وأنها هي نفسها كان يُحْكَى لها وهي صغيرة نفس هذه الحكايات قبل نومها ! ياللعجب ! لماذا لا يحكي الآباء لأطفالهم قصصًا رقيقة جذابة وجميلة تحثهم على مكارم الأخلاق أو تعلمهم شيئًا جديدًا في الحياة التي يجهلون عنها الكثير ؟! أليس من الأفضل أن تغمر أطفالهم في نومهم الأحلام الوردية العطرة بدلًا من وجبة الرعب الإجبارية المفزعة تلك ؟! وكأني بالآباء والأمهات يتخلصون بتلك الطريقة الخاطئة من عبءٍ ثقيل هو الطفل ومتاعبه التي لا نهاية لها، فيلقون بالرعب في قلبه البرئ حتى يفزع فيخلد للنوم، غير مدركين بأنه لن يغمض له جفن طوال الليل من الخيالات المفزعة. يالهم من حمقى !

أفقت من شرودي الطويل على وجهه مرة أخرى. تملكني الخوف أكثر فأكثر عندما اقترب مني في خطوه الوئيد المتأني، ويده التي تستند إلى عصاه ترتعش !

كان كل همي في تلك اللحظة هو أن أحاول الإبتعاد عنه قدر الإمكان ! لا أخفيكم سرًا فقد كان مبعث خوفي منه ظني أنه سيأكلني ! لا تسخروا مني رجاءً فقد كنت طفلةً صغيرةً. هربت منه في الحال، واختبأت خلف أبي وأنا لا أكاد أنطق بغير كلمة " بابا... بابا " في رعبٍ شديد !

التفت أبي ناحيتي، ورفعني إليه حاضنًا إياي، وقال بصوته الهادئ وهو يربت على كتفي برقة:

_لا تخافي يا صغيرتي. هذا هو جدك...أبي !

كانت تلك هي المرة الأولى التي أسمع فيها والدي يخاطب شخصًا آخر بكلمة " أبي " التي اعتدت أن أناديه أنا بها. تعجبتُ كثيرًا وقتها من ذلك، فلم يدر بخلدي مطلقًا قبل هذه اللحظة أنَّ هناك مَنْ أنجب والدي، فمنذ ولادتي وأنا لا أرى سواه وأمي ! كانت فكرة وجودهما قبل وجودي حقيقة متيقن منها، لكن لم يحدث أبدًا أن تساءلت عن منشأ وجودهما في الحياة حتى ظهرت لي الحقيقة الآن. وأخذ عقلي الصغير يفكر في امكانية حدوث هذا أيضًا لأمي: هل كان لها أب وأم أو أن أبي كبر ووجدها هكذا كبيرة ؟! ثم لماذا هو أبي ولماذا هي أمي تحديدًا ؟! لماذا لم أكن معهما وقت أن تعارفا، بل وجدتهما هكذا عندما جئت للدنيا ؟! وكيف "جئت للدنيا"، وهي العبارة التي سمعتها منهما دون أن يعيها عقلي الصغير ؟! إني لا أعلم شيئًا عن تلك الفترة الغامضة التي سبقت مجيئي إلى هذا العالم الواسع. لقد حار فكري كثيرًا في البحث عن إجابة شافية لكل هذه الألغاز!

وباقترابه مني وأنا في حضن والدي، لم أشعر بنفس ذلك الخوف الذي اعتراني وأنا أقف على الأرض وأحاول الإختباء منه. كنت أعي حب والدي لي وحنانه الشديد عليَّ، لذلك كنت أشعر بالإطمئنان وهو يقول لي:

- سلِّمي على جدك !

ثم إنه أمسك بيدي اليمنى الصغيرة، ومدها نحو هذا الرجل، ولعجبي تناولها في كفه وقبلَّها، وأنا التي كنتُ أظنه من قبل سيأكلها ! ورأيت إبتسامة بشوشة ترتسم على محياه، وسمعته يخاطبني بقوله:

_كم أنا مسرور برؤيتك يا حفيدتي العزيزة !

وكان يربت على يدي وهو محتضن لها بين كفيه بطريقة هدأت من روعي كثيرًا، وشعرتُ بخوفي منه يتلاشى رويدًا رويدًا حين رأيته يمد يده إلى داخل جيب قميصه، ليُخْرِج بعضًا من قطع الحلوى، ويدسها في كفي. نظرت لأبي، وعندما رأيته مبتسمًا، يهز رأسه مشجعًا لي، قبضت عليها بكفي بشده وضممته لصدري، في حين خاطب والدي جدي قائلًا:

_إنها مازالت صغيرة، لم تعتد عليك بعد يا أبي الحبيب، لكنك قد اختصرت الطريق بينكما كثيرًا بفكرة الحلوى هذه !

رأيتهم يضحكون جميعًا، وما كنت أدري لماذا، فكل ما كان يعنيني في تلك اللحظة هو الحلوى التي يقبض عليها كفي الصغير في استماته عجيبة، فما دامت بقبضتي، فلن يثير اهتمامي أي شيء حولي حتى آتي عليها !

حالما أعادني أبي لأرضية الحجرة، أسرعت إلى ركن بعيد منها، وبدأت في التهام تلك الحلوى اللذيذة، وغفلت عنهم جميعًا، وكأني وحدي في هذا العالم، وغرقت في خيالاتي حلوة المذاق !

انتهيت منها، فانتبهت لوقوفي بمفردي، وكان أول خاطر يراودني هو العودة إلى حيث يجلس أبي وأمي و"جدي" كما يطلقان عليه. اقتربت منهم متسللة، فوجدتهم يجلسون جميعًا، وهم يتحادثون ويضحكون. وحانت إلتفاته من جدي، فرآني أقف في مكاني، لا أجسر على الإقتراب منه، فمدَّ يديه إليَّ قائلًا:

_تقدمي يا صغيرتي العزيزة ! إنك لتشبهينني كثيرًا، وكأنك ابنتي لا حفيدتي !

فجريت مسرعة، لأرتمي في حضن والدي، مما جعلهم يضحكون جميعًا. ونظر أبي إلى وجهي، فوجده ملطخًا ببقع الحلوى اللزجة، فعلم بأني قد انتهيت منها كلها، فقال يخاطب جدي وأمي وهو يضحك:

_لقد أكلت الحلوى كلها، ولم تُبْقِ لي ولا لإمها على شيء منها مطلقًا ! ومن يدري ؟! ربما عادت إلينا مرة أخرى طمعًا في المزيد منها !

وضجت الحجرة بضحكهم، أما أنا فقد كنت أفكر بالفعل في كيفية الحصول على المزيد من الحلوى !

(ب)

مرت الأيام، وتوالت الزيارات المتبادلة بين أبي وأمي وجدي، فكانا يصطحباني معهما في كل المرات، وبدأت أعتاد وجوده شيئًا فشيئًا، وصرت لا أخشى الإقتراب منه، خاصةً وأنه كان يرحب بي في كل مره، ويعطيني المزيد من قطع الحلوى اللذيذة، حتي أنني ظننته يمتلك مصنعًا كبيرًا للحلوى، فأحببته كثيرًا، وبدأ لساني يعتاد على مخاطبته ب "جدي"، كما علمني والداي.

وذات يوم عاد أبي إلى شقتنا، وكان من عادته أن يحتضنني مقبِّلًا لي فور دخوله من الباب وهو في فرح شديد، غير أنه في هذه المرة أجهش بالبكاء وأنا بين ذراعيه، وأعادني لأرضية الصالة وهو يرتمي على أقرب مقعد إليه، وأمي تجري نحوه في ذعر وفزع، فتجلس على ركبتيها أمامه، وتحيطه بذراعيها، وهو يدفن وجهه في كفيه، أما أنا فقد وقفت ذاهلة، وكأنني جماد ساكن، لا عقل أو فهم له !

على أنني تغلبت على جمودي، لفرط خوفي على أبي، فاقتربت منه قائلة بصوتي الطفولي الفزع:

_بابا... مالك ؟!

ورفع إليَّ وجهًا سالت دموعه عليه فأغرقته، وقال وهو يغالب نشيجه:

_لقد... لقد مات جدك !

وأجهش بالبكاء مرة أخرى، بأشد من ذي قبل، وأمي التي تغالب دموعها تربت على ظهره، وهي تحتضنه، وتدعو لجدي بالرحمة والمغفرة، ولأبي بالصبر والسلوان.

وجدت أبي وأمي يبكيان فبكيت أنا الأخرى !

قال لي أبي فيما بعد أن الموت هو مصير كل البشر في هذه الدنيا الفانية، غير أنني في ذلك الوقت لم أكن أفهم معنى كلمة "الموت" هذه جيدًا، وكل ما كنت أعرفه عنها هو أن الشخص الذي يموت لن يكون بمقدورنا رؤيته أبدًا في دنيانا هذه مرة أخرى.

كان ما أذكر أني فعلته في تلك اللحظة الحزينة، هو تعلقي بأبي وأنا أبكي وأسأله ببراءة:

_بابا...ألست أنت مَنْ سيحضر لي حلوى كثيرة مثل جدي أم ماذا ؟!

ميكروفيكشن

الهاتف

كان رنين الهاتف في هذا الوقت المتأخر من الليل مزعجًا بحق. ضلت يدي طريقها إليه مئة مرة قبل أن تقبض عليه. ضغطتُ أيقونة الرد الخضراء على شاشته، وأنا مشوش الرؤية.

سمعتُ على الطرف الآخر صوتًا تردد صداه في المكان الذي أتى منه:

= أبي! متى ستأتي لتخرجني من حفرتي الضيقة هذه؟! إنَّ هذا الظلام يفزعني، والوحدة تقتلني رعبًا!

مكتبة

ورث صديقي عن جده مكتبة ضخمة. كنت أستذكر دروسي معه ذات ليلة حين أراني أحد الكتب القديمة وقال لي بأنه عثر عليه في ركن

مهمل من المكتبة بطريق الصدفة.

كان مجلدًا عتيقًا وقد حُفِرَتْ على غلافه الجلدي نجمة خماسية

حمراء. فتح صديقي الكتاب وناوله لي مشيرًا إلى كلمات بعينها لكي

أقرأها له ثلاث مرات:

شورش... كورش... بهمورش...

زرزاميل... بشماشيل... طنشاشيل!

قرأتها وأنا أسخر من صديقي في سريرتي.

ما إن أنهيت قراءتها حتى شعرت ببرودة تثلج جلدي فتلسعه، ورفعت عيناي فإذا بصديقي وقد برز له قرنان صغيران في رأسه، وكان يحدق

فيَّ بعينين حمراوين كالدم!

وجــهًـا لـــوجــه

قضت نهارها في العمل الذي كان مُرْهِقًا بحق. عادت لبيت أسرتها، فتناولت مع والديها وأخوها وجبة الغداء، ثم آوت إلى فراشها لترتاح قليلًا.

كان من عادتها أن تتفقد رسائل صديقاتها في ماسنجر بريد الفيس

بوك.

تمددت على سريرها مسترخية، وهاتفها بيدها، مستغرقة فيما تحويه شاشته.

شعرت بحركة غريبة بجوارها.

التفتت فجأة، فإذا بها وجهًا لوجه مع أفعى فاغرة شدقيها، يتساقط السم القاتل من نابيها!

الـعـووو !

لشدَّ ما أحَبَّ روايات ستيفن كنج ومجموعاته القصصية المرعبة!

إنه يعتبره كاتب الرعب رقم 1 على مستوى العالم.

لذا حين علم بأنَّ فيلم "رجل الخزانة" مقتبسٌ عن إحدى قصصه

القصيرة، تلهف لمشاهدته وبشدة.

جاءت الليلة الموعودة، وكان موعد عرض الفيلم بعد منتصف الليل.

كان كل أفراد أسرته يغطون في نوم عميق. جلس أمام التلفاز يشاهد الفيلم المفزع في استمتاع مشوب بالذعر والخوف.

انتهى الفيلم، وقلبه يرجف تحت ضلوع قفصه الصدري.

توجه إلى غرفته، ففتح خزانته ليحضر منها منامته، فوجده أمامه وجهًا لوجه!

"رجل الخزانة" البشع بكيانه الجهنمي، تمامًا كما شاهده في الفيلم!

حينها علم سبب تحذير أصدقائه له من قراءة تلك القصة أو مشاهدة فيلمها.

أدرك كذلك سبب غيابهم عنه واحدًا تلو الآخر. ربما كان نتيجة نصحهم له الذي لم يطبقوه على أنفسهم!

للأسف، كان إدراكه لكل هذا بعد فوات الأوان!

فـــــــوق

قطرة... قطرتان... ثلاث!

امتدت يدي تلقائيًا إلى وجهي، فإذا بسائلٍ لزجٍ قد غطاه!

كنتُ نائمًا على ظهري، حين فتحتُ عينيَّ فرأيته!

رغم الظلام رأيته!

كان متعلقًا بسقف الغرفة ورأسه نحوي، وقد لمعت عيناه ببريق مخيف، ولعابه يتساقط من فمه الوحشي على وجهي!

شُلَّتْ صرخة الفزع في فمي المفتوح وأنا أحدقُ فيه، وجسدي متخشبٌ في مكانه!

فجأة سقطَ عليَّ...

تَـحَوُّل

اعتزلَ العالم بعد أن اشترى أكوامًا من معلبات الأطعمة المحفوظة.

ظلَّ عاكفًا على شاشة الحاسوب تارة، وهاتفه الذكي تارة أخرى.

كانت الأفكار التي أوحى إلهامه بها لعقله تصطرع بداخله.

بعد كل هذا، كان يفترض به أن يُبْدِع نصًا أدبيًا عميق الرؤى.

عوضًا عن ذلك، انغمس حتى النخاع في صراعات وجدالات

سوفسطائية على صفحات الفيس بوك مع هواة إثارة زوابع اللاشيء

من أجل حب الظهور وتمضية الوقت الفارغ الذي تصطبغ به حياتهم.

يومًا بعد يوم ازداد وزنه، فلم يعبأ لذلك، لشدة انغماسه في حروبه الكتابية معهم.

لذا، إن دَخَلْتَ عليه يومًا فرأيْتَهُ كرةً ضخمةً من الدهون وقد اختفت رأسه، فلا تفزع!

طفـلـة

أمشي بخطوات سريعة في ذلك الشارع المقفر.

كنتُ قاصدًا بيتي في تلك الليلة الممطرة.

أسمعُ بكاء طفلة صغيرة يأتي من مكان ما.

أتَلَفَتُ يمنة ويسرة أتنصت الصوت الباكي بلوعة.

فجأة أجدها أمامي، جسدًا ضئيلًا يجلس القرفصاء على جانب الطريق في ركن مهمل من الأرض المُبتَلَّة، وقد غطت وجهها بكفيها، وظهرها المقوس يواجهني، وهو ينتفض من برد الشتاء.

أقتربُ منها في لهفة، وأضعُ يدي المرتعشة على كتفها الصغير.

حينها تلتفتُ إليَّ!

زوجتي

كانت تلاعبني الشطرنج.

كم كانت ماهرة!

كم كانت تعشقه، وكم كنتُ أعشقها!

كانت كطيف رقيق يراقصني في غرفة نومنا العاطرة بأنفاسها.

كان نور القمر الذي يأتي من الشرفة يزيدها فتنة وجاذبية، وهي تدفن وجهها الملائكي في صدري العريض خجلًا ملئه الهيام.

كانت كقطة صغيرة، تتكور حول نفسها وهي راقدة بجواري في فراشنا الوثير.

كانت توليني ظهرها.

كانت دومًا وأبدًا توليني ظهرها.

وهل بي طاقة أن أرى وجهها العظمي؟!

إنها آلام سرطانك القاتلة حبيبتي!

إنها لعنة القتل الرحيم، تلطخ يدي وتطاردني للأبد!

سبـاحـة

لن تنفعك كثيرًا مهارتك الفائقة في السباحة هذه المرة!

لقد كان ذهابك للبحر في تلك البقعة بالذات، وفي مثل هذا الوقت المبكر وبمفردك، هو الجنون بعينه!

وأنَّى لك أن تعلم بما حدث في هذا المكان منذ سنوات طويلة خَلَتْ!

أراكَ تلهو بين الأمواج الناعسة الحركة، فتغوص وتطفو بمهارة فائقة، وأنا أهمس لك محذرًا، لكنك لن تسمعني للأسف، فليس لي لسان حتى أحدثك به!

أنا الحدس بالخطر يا صاح، إن كنتَ لا تدري من أمري شيئًا بعد!

ألا فلتتلو صلاتك الأخيرة، فأنا أرى تلك اليد المتحللة تمتد إليك من الأعماق، فتقبض على قدمك وتجذبك للأسفل في إصرار رهيب!

لا تقاومها! لا فائدة الآن!

ألم أقل لكَ من قبل أنَّ هذه البقعة من البحر لم تلفظ حيًا إلا وقد ضمته أعماقها المظلمة للأبد؟!

يبدو أنني نسيت!!!

الشيء

أنتَ تعلمُ جيدًا أنني لم أتزوج.

وتعلمُ أنني أعيش وحيدًا في شقتي الصغيرة، المكدسة بالكتب في كل أركانها.

وأنني نادرًا ما أستقبل الضيوف، لا لشيء إلا لندرة أصدقائي وانشغالي الدائم بالكتابة.

لابد وأنك تعلم بوساوسي ومخاوفي من أن يقتحم كائنًا مَنْ كان شقتي، ولهذا أقوم بجولة يومية في أرجائها قبل أن آوي إلى فراشي، للتأكد من إحكام غلق جميع الأبواب والنوافذ.

كما أنني لستُ من هواة تربية الحيوانات الأليفة في المنزل على الإطلاق.

كل هذا واضح للغاية وتعلمه عني جيدًا، فهل يمكنك أن تخبرني، وأنا حبيس غرفة نومي جالس في سريري أكاد أموت رعبًا من فزعي وخوفي، عن مصدر تلك الزمجرة الغاضبة التي أسمعها الآن أمام باب الغرفة، وصوت الخدش فيه بمخالب من حديد يكاد يصمُّ آذاني؟!

بل هل يمكنني أن أطمع في كرمك أن تزورني في تلك الساعة المتأخرة من الليل؟!

أنتَ تعلم العنوان بالتأكيد، لذا أرجوكَ أن تكون رحيمًا بي ولا تتأخر عليَّ كثيرًا، فأنا لا أدري حقًا ماذا ستجد مني إن وصل إليَّ هذا الشيء قبلك!

أَسْرِعْ بالله عليك، فصوت الزمجرة يعلو، وخدش الباب بالمخالب قد صار أشرس عن ذي قبل!

أَسْرِررررررررعْ!!!

السيرة الذاتية للمؤلف

الإسم/ محمد أحمد خليفة

تاريخ الميلاد / 1980/05/21

محل الميلاد / مصر/ سوهاج/ طهطا

المؤهل / ليسانس آداب وتربية لغة انجليزية 2001

كلية التربية / جامعة سوهاج

الوظيفة / معلم لغة انجليزية

مؤلفات قيد النشر

حزن بلون الفرح (ديوان شعر)

عاشق السنيما (من روائع الأفلام)

في دوامة الحياة (صور ومشاهدات)

بوح الروح (مقالات وخواطر)

Email / medomashakel44@gmail.com

صفحتي الشخصية علي الفيسبوك

https://www.facebook.com/MohammedA.Khalifa80

للتواصل معنا :

FB : أدباء 2000 للنشر والتوزيع- Odabaa 2000

Acc Fb : Odabaa Young's

Group fb : أدباء 2000

Gmail : odabaa2000@gmail.com

Whats app : 01099654718 – 01116138860

Twitter : OdaBaa 2000
@odabaa2000

Youtube : Odabaa2000 Odabaa

Bloger : ادباء 2000

http://odabaa2000.blogspot.com/

Linked : ODABAA2000 house publishing

Pintrest : ODABAA 2000